الشحاذ
(النموذج الغربى)

دراسة نقدية فى ضوء علم النفس الحديث

إعداد

الدكتورة / ثناء محمود قاسم

المدرس بقسم البلاغة والنقد الأدبى

بكلية دار العلوم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشحـــاذ

(النموذج الغربى)

دراسة نقدية فى ضوء علم النفس الحديث

الدكتورة /ثناء محمود قاسم

المدرس بقسم البلاغة

والنقد الأدبى بكلية دار العلوم

مدخل

لعـل القـارىء لـرواية الشحاذ يدرك مدى تأثر كاتبها بالنموذج الغربى فى تشكيل ملامح شخصية البطل،وانتمائها إلى الاتجاه النفسى الذى كان سائداً فى الأدب الروسـى، ذلك الاتجاه الذى يتخطى الاهتمام بالتحليل النفسى للشخصيات، والكشف عـن أحد الأبعاد النفسية، سواء بالحديث النفسى للشخصية أم بتيار الوعى، ليرصد حالة إنسانية فى صورة من صور المرض النفسى، تعاقبت عليها أحداث مؤثرة، أو انقلابـات غـير متوقعة، أدت إلى حالة من حالات فقدان التوازن، ومن ثم رفض الواقع، والتأرجح فى منطقة ما بين الوعى واللاوعى، والواقع واللاواقع. ولا يعنى هـذا عـدول نجيـب محفـوظ عن الأتجاه الاجتماعى - الذى عنى به فى أعماله الروائـية- بدرجـة قاطعة .إنما يقع التجديد فى الإطار العام لمعالجة موضوعات تندرج فى هذا الاتجاه، بشكل أكثر عمقاً، داخلة فى تصوير واقع الإنسان، ومعاناته فـى ظل أوضاع مجتمعيه معينة- بوصفه مرآة تعكس صوره- وموقفه منها. فنحن إزاء نوع قصصى يبعد عن المعنى الواقعى والاجتماعى الحرفى، ليشكل نمطاً جديداً من استجلاء حالة نفسية خاصة، والإفضاء بآراء ذاتية تمس أعماق النفس فى حالة تـأرجح بين الوعى واللاشعور، والعقل والجنون. وهذا النمط يتعمق فى مشكلات الإنسـان والمتغـيرات الطارئة على البيئة أو العصر الذى يعيش فيه. وهنا تكون القصة حافلة بالآراء الفلسفية والاجتماعية والنفسية فى إطار مواجهة تجربة إنسانية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خاصـــة تنعكس من خلالها صورة المجتمع الحديث ومشكلاته .على أساس من هذه الـرؤية طرحـت رواية "الشحاذ" لتلقى الضوء على أزمة الطبقة المثقفة فى مرحلة حضـــارية معينة، متمثلة فى شخصية "عمر الحمزاوى" الشاعر الحالم الذى تنعكس من خلاله طبيعة الأزمة وعمقها، إن هذه الشخصية تشير – بوصفها جملة انعكاسات اجتماعية وثقافية– إلى دائرة التناقض التى تحيط إنسان العصر بين طموحاته وآماله الخاصة وبين ما يفرضه عليه الواقع.

ونجيـب محفـوظ إذ يسـتمد الإطار العام فى استجلاء أوجه قصور الكيان المجـتمعى من هذا النموذج الغربى[٢]، يجسد شخصية "عمر الحمزاوى" فى صورة مـريض نفسـى مصـاب بمـا يعـرف فـى الطـب النفسى بـ (فصام العقل) Schizophrenia وهـو" مجموعـة من الاستجابات الذهانية تتميز باضطراب فى العلاقات الواقعية، وتكون المفهوم، واضطرابات وجدانية وسلوكية وعقلية بدرجات مـتفاوتة، كمـا تتمـيز بمـيل قـوى للـبعد عن الواقع، وعدم التناغم الانفعالى، والاضـطرابات فى مجرى التفكير، والسلوك الارتدادى"[3]. و يعرفه الدكتور أحمد عكاشة بأنه "مرض ذهانى يتميز بمجموعة من الأعراض النفسية والعقلية التى تؤدى إلـى اضـطراب وتدهور فى الشخصية والسلوك. وأهم هذه الأعراض اضطرابات التفكير، والوجدان، والإدراك، والإرادة، والسلوك"[4] . ويقول عالم النفس السويسرى كـارل يونـج Yung : "إن انفصـال المريض الشيزوفرينى عن الواقع، وفقدانه الاهتمام بالوقائع الموضوعية كلها، ليس من الصعب تفسيره عندما ندرك بأنه يقف دومـاً تحـت أمـرة ناهية من (مركب) لا يقهر... فهو يحلم بعيون مفتوحة، ومن الناحية النفسية فإنه لا يستطيع تكييف نفسه مع ما يحيط به"[٥].

فنحـن الآن إزاء شخصية مريضة، أصيبت من الواقع الحياتى المحيط بها، فتشـخيص المـرض على هذا النحو يتسق مع التأثر بالاتجاه الغربى فى فن القصة حيـث يهـتم الكاتب بتصوير وتجسيد حالة تعانى اضطراباً نفسياً ما، نتيجة للتأثر بالعوامل البيئية من حوله[٦]. ونجيب محفوظ يوجه دفة "الشحاذ" هذه الوجهة النفسية. ولعـل مرض "فصام العقل" هو أقرب الحالات النفسية وأكثرها دقة فى الكشف عن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجه الخلل فى أوضاع مجتمعية معينة. خاصة أن من الأسباب المباشرة للإصابة بهذا المرض ما يرجع إلى عوامل اجتماعية أو حضارية معينة وهناك من الآراء والإحصائيات الدراسية ما يشير إلى أن مرض الشيزوفرينيا هو أكثر وقوعاً فى ظروف اجتماعية أو حضارية أو اقتصادية معينة. وقد يستخلص القارئ من هذه البيانات ما يدين مثل هذه الظروف الحياتية ويعتبرها سبباً للمرض أو من أسبابه(٧).

ولعل نجيب محفوظ قد بنى جوهر أسباب إصابة الشخصية الرئيسية فى "الشحاذ" على هذا السند العلمى ، بدليل عدم إشارته لأية عوامل وراثية أدت إلى هذا المرض وهى عوامل لها وجود قوى فى الطب النفسى.

الشحاذ فى الرؤى النقدية السابقة:

كلما توغلت فى مطالعة بعض الدراسات النقدية التى دارت حول هذه الرواية،وتأملت الرؤية الثابتة التى نسجها النقاد فى تحليلها،تعمق داخلى اليقين بأن ثمة حلقة مفقودة يكمن فيها سر العمل بأكمله ،وهى التى تسهم فى تحديد هوية الرواية،واتجاهها الأدبى،وما تمثله من قيمة فنية رفيعة المستوى،تضاف إلى رصيد نجيب محفوظ المتميز بتنويعاته وأسراره التى لاتنتهى.

ويمكننى تلخيص مضمون هذه الرؤى-إن جاز هذا- فى جانب واحد هو البعد الفلسفى الذى تركزت فيه جهود النقاد فى محاولة لتصنيف العمل وتفسيره.فكانت رواية(الشحاذ) من ذلك النوع المعنى بالبحث الدائب حول"فكرة الحياة،ومعنى الوجود.والتساؤل الملح فى تلك المباحث الميتافيزيقية والتى تنتهى باللاشىء،ومع ذلك يظل السؤال منتصباً كعلامة على الطريق،ولكن معالم الطريق تزداد غموضاً"(٨) وتشكلت بناءًعلى هذا شخصية"عمر الحمزاوى" الباحث عن الحقيقة ؛حقيقة الأشياء،الكون ،الوجود ،العدم،الفناء "فيظل يستجدى طوال الرواية المعنى والحقيقة، لقد انغمس فى الحب والجنس وجرب النزوة والطب والشعر والصداقة بحثاً عن حقيقة كل شىء،وأخيراً غرق فى أكذوبة اليقين أو نشوة المطلق،لقد تبدت له فى صحراء مظلمة على شكل خيط يتضح بلون وضىء عجيب،ولكن ما أسرع أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أوجه الخلل فى أوضاع مجتمعية معينة. خاصة أن من الأسباب المباشرة للإصابة بهذا المرض ما يرجع إلى عوامل اجتماعية أو حضارية معينة وهناك من الآراء والإحصائيات الدراسية ما يشير إلى أن مرض الشيزوفرينيا هو أكثر وقوعاً فى ظروف اجتماعية أو حضارية أو اقتصادية معينة. وقد يستخلص القارئ من هذه البيانات ما يدين مثل هذه الظروف الحياتية ويعتبرها سبباً للمرض أو من أسبابه(٧).

ولعل نجيب محفوظ قد بنى جوهر أسباب إصابة الشخصية الرئيسية فى "الشحاذ" على هذا السند العلمى ، بدليل عدم إشارته لأية عوامل وراثية أدت إلى هذا المرض وهى عوامل لها وجود قوى فى الطب النفسى.

الشحاذ فى الرؤى النقدية السابقة:

كلما توغلت فى مطالعة بعض الدراسات النقدية التى دارت حول هذه الرواية،وتأملت الرؤية الثابتة التى نسجها النقاد فى تحليلها،تعمق داخلى اليقين بأن ثمة حلقة مفقودة يكمن فيها سر العمل بأكمله ،وهى التى تسهم فى تحديد هوية الرواية،واتجاهها الأدبى،وما تمثله من قيمة فنية رفيعة المستوى،تضاف إلى رصيد نجيب محفوظ المتميز بتنويعاته وأسراره التى لاتنتهى.

ويمكننى تلخيص مضمون هذه الرؤى-إن جاز هذا- فى جانب واحد هو البعد الفلسفى الذى تركزت فيه جهود النقاد فى محاولة لتصنيف العمل وتفسيره.فكانت رواية(الشحاذ) من ذلك النوع المعنى بالبحث الدائب حول"فكرة الحياة،ومعنى الوجود.والتساؤل الملح فى تلك المباحث الميتافيزيقية والتى تنتهى باللاشىء،ومع ذلك يظل السؤال منتصباً كعلامة على الطريق،ولكن معالم الطريق تزداد غموضاً"(٨) وتشكلت بناءً على هذا شخصية"عمر الحمزاوى" الباحث عن الحقيقة ؛حقيقة الأشياء،الكون ،الوجود ،العدم،الفناء "فيظل يستجدى طوال الرواية المعنى والحقيقة، لقد انغمس فى الحب والجنس وجرب النزوة والطب والشعر والصداقة بحثاً عن حقيقة كل شىء،وأخيراً غرق فى أكذوبة اليقين أو نشوة المطلق،لقد تبدت له فى صحراء مظلمة على شكل خيط يتضح بلون وضىء عجيب،ولكن ما أسرع أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أدرك أن حقيقة كل شيء تكمن فى اللاشيء،إن جذور أزمته الروحية هى فى حقيقتها أزمة مصير طبقته التى فقدت الأسانيد الاجتماعية فى حياتنا أوفرقتها لعبة التوافق والسمسرة،والمصالحة والرقص على حبال الصراع الطبقى،إنها تتفسخ وتشيخ وتتجمع منسحبة من الحياة لتغرق نفسها فى غيبوبة حالمة وجنس صاخب.(٩)

لقد تمثلت مأساة "عمر الحمزاوى" – وفقاً لهذه للدراسات –" فى إحساسه بالركود والملالة إزاء كل مظاهر الحياة التى يخالطها أو يتعامل معها،فكره العمل فى المكتب، ورغب حتى عن الذهاب إليه حتى تراكمت القضايا واضطر وكيله إلى تأجيلها، وسئم حياة البيت والزوجة التى ضحت من أجل الزواج منه ،وتبلدت عاطفة الأبوة الحانية إزاء ابنتيه الحبيبتين،ولم تفلح إرشادات الطبيب له بالاعتدال فى الطعام والشراب والانتظام فى المشى فى شفاء نفسه من همومها،وبدا له على العكس من ذلك،أن الانطلاق فى حياة اللهو والمجون قد يعيد إلى نفسه حيويتها فراح يتقلب فى أحضان الغانيات ،بل إنه استأجر مسكناً خاصاً ليمارس فيه نزواته،لكنه كان عبثاً يحاول،فلم يدرأ صنيعه ذاك أخطار القلق والاضطراب عنه،ولم يجلب له السكينة والأمان،وظل معذب النفس،نهباً لهواجس شتى وتهيؤات غامضة مفزعة يختلط فيها الوهم بالواقع،والحلم بالحقيقة،دلالة على انهياره،وانحلال ذاته الواعية". (١٠)

فقد بدأ عمر الحمزاوى " شاعراً حالماً، ثم صار ثائراً متطرفاً، ثم انقلب إلى "برجوازى" راكد، ثم إلى مغامر طائش فى عالم العلاقات النسائية، ثم انتهى قابضاً على الهواء فى مرحلة تتردد بين عالم الحلم وعالم الواقع. وبناءً على ذلك تكون القيمة الكبرى التى يدور حولها الحدث كله، والتى تسيطر على كل عصب من أعصاب الرواية، هى البحث عن "أيديولوجية" خاصة أو بعبارة أخرى عن معتقد يحفظ التوازن بين وجهى الحياة الداخلى والخارجي .. معتقد يقى الإنسان مأساة الوقوع فى التناقض بين ما يريده حقيقة وبين ما يفعله واقعاً، ويحقق له انسجاما تجاه الحركة النفسية مع اتجاه الحركة المادية"(١١).

فمن الشائع فى التصور النقدى لشخصية "عمر" ،أنه يعانى الإحساس بالعبثية وافتقاد معنى الوجود،لذلك حاول التمرد والتغيير.وفى بحثه عن مخرج من أزمته

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يندفع فى طريق الملذات الحسية .ويفسر المشهد الختامى فى الرواية -دائماً- تفسيراً خاطئاً ،يسلب العمل قيمته الحقيقية .فيقع فى التصور أن هذا المشهد يعد تجسيداً للوصول لحالة زهد صوفية ومحاولة للتماهى مع عناصر الوجود.(١٢)

وثمة من يرى أنه حلم ،غاب فيه "عمر الحمزاوى" فى اللاوعى وألقى بنفسه خارج أسوار الزمان والمكان متحرراً من قبضة الحياة التى تحيط به،وأقام فى بيت صغيركالكوخ تحيط به حديقة التفت حولها أشجار السرو العالية، وبجانبه ترعة تجرى بين صفين من أشجار السنط، وعلى مدى البصر امتدت الحقول الخضراء.وفى هذا المكان توالت مشاهد كثيرة تتسم بالغموض والتفكك واللامعقول ، وإن تحركت خلالها بعض الشخصيات الواقعية التى ترتبط بعمر الحمزاوى،على نحو ما.(١٣)

إن هذه الرؤى النقدية السابقة بصدد "الشحاذ" قد دارت-فى رأيى- حول مأساة عمر ومعاناته ،لكنها لم تكشف عن ماهية هذه المعاناة أو كنهها أو طبيعتها بدقة تجعلها تسوغ الكثير من سير الأحداث وتطور الشخصية المحورية و تدهورها.وهذا القصور فى عرض جوهرالمأساة يقف حائلاً دون فهم العمل برمته بما يمثله من اتجاه أدبى يساير الاتجاهات الغربية الحديثة.

وسيظل الغموض يحيط مشهد النهاية ، بل الرواية بأكملها ،وستظل الرؤية قاصرة عن تفسير جوانب كثيرة ، ما لم نحاول وضع الرواية فى إطار اتجاهها الأدبى الذى تنتمى إليه، والإنصات إلى النص الذى تشير مفرداته -من بدايته حتى نهايته- إلى أن "عمر الحمزاوى" شخصية مصابة بمرض نفسى هو "فصام العقل". وهذه الوضعية تفسر كل ما يحيط بالرواية من غموض،وتضع الأمور فى مظانها.فهى الحلقة المفقودة فى كل الدراسات النقدية التى تناولت هذه الرواية من قبل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا النموذج الإنسانى (المستمد من البيئة الغربية) والذى يصور حالة إنسانية تعانى أزمة نفسية خاصة،يمثل جانباً آخر من جوانب تأثر نجيب محفوظ بالأدب الغربى ،الأوروبى منه تحديداً . (١٤)

الشحاذ والتجربة النفسية

تعد رواية"السراب" -فى التصور النقدى -التجربة الوحيدة التى ارتكز فى صياغتها نجيب محفوظ على علم النفس الحديث، فأفاد منه فى تحديد أبعاد شخصية البطل"كامل رؤبة لاظ"،ومأساته فى فشل حياته الزوجية غير المكتملة ،اعتماداًعلى ما عرف فى علم النفس بـ "عقدة أديب".وبالرجوع إلى الرواية نجد أن الكاتب قد توغل كثيراً فى هذا المجال ،واستغرقه هذا اللون.وبوضوح شديد تشكلت ملامح البطل المضطربة نفسياً،والتى تعانى نتيجة التنشئة الصارمة فى أحضان الأم المنفصلة عن الأب المستهتر.لكن فى الوقت نفسه بتأمل أعمال نجيب نكتشف أن رواية "السراب" ليست التجربة الفريدة له فى هذا المجال.ويمكننا تلمس هذا اللون النفسى فى روايتى"الطريق" و"الشحاذ".مع التحفظ على أوجه الفروق المقصودة من الكاتب والتى تنم عن مطالعاته العميقة فى الأدب الغربى والتأثر به. فكل منها تمثل اتجاهاً وحدها،يربطها فى النهاية رابط واحد هو الإفادة من علم النفس الحديث تأثراً بتلك النزعة التى كانت سائدة فى الغرب.ويمكننا-فى عجالة -تصنيفها على النحو التالى:

*السراب:مثلت النموذج المباشر فى طرح الظاهرة النفسية وتحليلها،وهى -كما قلنا -عقدة أديب، وبيان مدى ارتباط الابن ارتباطاً مرضياً بالأم.بالإضافة إلى تجمع بعض العوامل الأخرى التى تعقدت عبر مرحلة التنشئة والتى كان لها أبلغ الأثر فى تدهور حالته وتعميق مأساته.وأهم ما يميز هذه الرواية هو علاقتها المباشرة بعلم النفس.بل بالطب النفسى ،فالبطل شخصية مريضة وقد لجأ بالفعل إلى طبيب نفسى طلباً للعلاج .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

*الطريق: إذا كان من الشائع عن هذه الرواية أنها من ذلك النوع الفلسفى بحيث يبحث البطل فيها عن رمز ما تمثل فى شخصية الأب ،فإنى أرى أنها رواية فلسفية من حيث طرحها لمسائل خاصة بالفلسفة مثل قضية الجبر والاختيار. ولها أيضا علاقة وثيقة بتفعيل ما يسمى بـ"عقدة أديب" فكانت هى المحرك لشخصية البطل، المفسر لسلوكياته وانفعالاته ،وكأنه كان مدفوعاً فيما أقدم عليه بتلك العقدة. ويمكننا القول بأن "الطريق" تعد رواية فى التحليل النفسى،وأهم ما يميز هذا الاتجاه الأدبى إبرازه دخائل الشخصية الروائية،والعناية بالكشف عن أعماقها ،والأبعاد النفسية التى توجهها. فتهتم بتشريح الشخصية تشريحاً يحلل مفرداتها ،ويفسر سلوكياتها،ويستجلى أثر ما يدور من أحداث فى أعماقها. ويعد من سمات هذا الاتجاه الحديث كذلك فى فن القصة إتاحة المجال للكاتب لتخطى مفهوم الموضوعية والحيدة فى التوجيه السلوكى للشخصية،بحيث تطل رؤيته الخاصة وتستحوذ على مسار الأحداث وتوجيه الشخصيات دون ارتباط بالحقائق وتحرى الواقع. وإنما يقلب الشخصيات على وجوهها المختلفة،ويتبنى جانباً منها ،ويعين القارىء على اكتشافه ومن ثم التأثر به.(١٥) والفارق بينها وبين"السراب"هو الطرح غيرالمباشر للظواهر النفسية فيها. وهى لون آخر من ألوان التأثر بعلم النفس.

*الشحاذ: أتصور أن وجه الاختلاف بينها وبين "السراب" يكمن فى أمرين ،الأول عدم التصريح بمرض "عمر الحمزاوى" مقارنة بـ"كامل رؤبة لاظ" ،فنجيب محفوظ لم يشر بشكل مباشر إلى أن الشخصية المحورية فى "الشحاذ" شخصية مريضة، لكنه أعطى مؤشرات ودلائل قوية تدفع هذا التأويل فى اتجاه التأكيد. أماالأمر الآخر فهو اختلاف طبيعة المرض نفسه ،وفقاً للظروف المختلفة التى أحاطت كلاً منهما،والعوامل المساهمة فىالإصابة بالمرض النفسى. ففى "الشحاذ" نجد أن هذه الشخصية المريضة تمثل إفراز وضعية اجتماعية وثقافية معينة. وهى أقوى مؤشر برصد الأوضاع المجتمعية الخاطئة ويعكسها. وإنى لأرى أن نجيب محفوظ قد أفاد فنياً بالنزعة السلوكية الفلسفية. وهذه النزعة لا تعتد فى الحياة النفسية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للإنسان إلا بما يمكن أن يلحظه المتأمل فى حركة الشخص من المظاهر والصور الخارجية المحضة فى موضوعية كاملة. وهذه النزعة تلغى كل مالا يعرف إلا من الشخص نفسه. وهى تفسر الحياة النفسية بمجرد سلسلة من الانعكاسات تتساوى فى الدلالة عليها الكلمات والصيحات والحركات والملامح دون لجوء إلى "الوعى الباطن" بالتحليل والشرح. فهو غير معنى بتحليل الآراء والعواطف للشخصية- مقارنة مثلاًبالسراب والطريق- بل يتبع الوصف الموضوعى للمظهر الخارجى لهذه الشخصية تاركاً للقارئ الاستدلال على السلوك، فالأفعال والأحداث القوية مصورة دون شرح أو تفسير يضعف من قوتها. وعلى القارئ فى استخلاص مغزاها جهد كبير.(١٦) وعلينا- إذن- استنتاج أو اكتشاف المرض الذى يعانيه "عمر الحمزاوى" من خلال ما يقدمه بنفسه من مظاهر الاضطراب التى ألمت به فجأة . فهو إنسان مثقف، شاعر، خاض تجربة النضال من أجل قضية وطنية فى مرحلة ما قبل الثورة،ثم وجد نفسه- فجأة- مختل التوازن، متأرجحاً بين الماضى والحاضر، بين ما ينبغى أن يكون وما هو كائن بالفعل . لقد أصبح يعانى حالة من حالات الانفصال الوجدانى عن الواقع. وكأنه خارج دائرة الحياة. على الرغم من أنه محام ناجح ثرى مسئول عن أسرة تسر من ينتسب إليها ؛ من زوجة جميلة حكيمة ارتبط بها بعد قصة حب. ومن بنيتين استجمع فيهما الكثير من عبق الحياة. لكنه يشعر بالفراغ، وبأنه لا يملك شيئاً على الإطلاق، لا قيمة للأشياء مهما بلغ حظها من الثمن والمكانة، لا قيمة للعمل، لا وزن لعاطفته تجاه زوجته، تضاءلت درجتها إلى الصفر، تجمدت مشاعره وتبلدت. فهو يقول: مارسنا عملاً، وتزوجنا، وأنجبنا ولكن يخيل إلى أنه ليس لى ما أحصده إلا الهباء .[ص١٣١]. ويصف حالته للطبيب الذى لجأ إليه لعلاجه من القلق والخمود والاكتئاب فيقول: وكثيراً ما أضيق بالدنيا، وبالناس، بالأسرة نفسها، فاقتنعت بأن الحال أخطر من أن أسكت عنها[ص٨]. إن حالته تشير إلى تلك المفارقة بين بدايات الشاعر، الحالم، المثقف، وما آل إليه المحامى، الثرى، البرجوازى الذى يأكل حتى التخمة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقـد كان له شريكان من طبقة المثقفين الحالمين بالمدينة الفاضلة، والحرية، والسلام هما : "مصطفى المنياوى"، و"عثمان خليل" أين هما؟ وماذا حققا ؟ إن الأول اتجـه إلى تسلية الناس بنوع من الفن يشبه "اللب والفشار" على حد تعبيره ،وانتهى الحال بالثانى إلى السجن. ما الخلل الذى زلزل البنيان، وقلب موازين الأمور؟! إن هـذه المفارقة التى أحدثت فجوة داخل عمر جعلته يشعر بالانفصال عن الواقع فى صـورة من صور الرفض والاستنكار، ربما يعبر عنها هذا النص الذى يكشف عن عمـق مأســاة هـؤلاء المثقفين الثلاثة ويرويه عمر لنفسه فيقول: "واندفعنا برعشة حماسـية إلى أعماق المدينة الفاضلة واختلت أوزان الشعر بتفجيرات مزلزلة واتفقنا على ألا قيمة البتة لأرواحنا . واقترحنا جاذبية جديدة غير جاذبية نيوتن يدور حولها الأحياء والأموات فى توازن خيالى لا أن يتطاير البعض ويتهاوى الآخرون. وعندما اعترضـتنا دورة فلكية معاكسة انتقلنا من خلال الحزن والفشل إلى المقاعد الوثيرة، وارتقـى العمــلاق بســرعة فائقــة مــن الفورد إلى الباكار حتى استقر أخيراً فى الكاديلاك، ثم أوشك أن يغرق فى مستنقع من المواد الدهنية "[ص٢٤] وتفرق الثلاثة عـن الطـريق الواحـد، والأمـل المنشود؛ أما مصطفى فقد استوعب المتغيرات، واحـتواها ســريعاً، وصــنع لنفسه نوعاً من التوازن بمسايرة الموجة الجديدة التى فرضـتها الظـروف والأوضاع. تأمل-مثلاً- هذا التفسير السلوكى "لمصطفى" فى حواره مع "عمر":

- إنى أنطلق فى حياتى المزدحمة كالصاروخ ولكنى ربما تذكرت فى يوم من أيام الخماسين أنى أطوى جوانحى على فشل قديم، وربما اعترضنى سؤال شـيطانى عن معنى وجودى ولكنى سرعان ما أدفعه فى الأعماق كذكرى مخزية.

وسـفعت ريــاح شتوية نوافذ المكتب وانقلب الأصيل ليلاً، فاستطرد الذى يتحدى البرد بصلعته:

- لمــاذا نسأل؟، الحكاية أن العقيدة كانت تعطينا معنى متكاملاً، وأننا نحاول أن نمـلأ الفــراغ تحقيقاً لقانون طبيعى، وأمس ثرت على لحظة ضعف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ألمـــت بى وقلت إن تعليقاتى الفنية لهامعنى، وبرنامج الماضى والحاضر بالراديو له معنى، وتمثيلياتى فى التلفزيون لها معنى،ولا يحق لى أن أسأل بعد ذلك.

عمر – يالك من فارس![ص٩٨].

إنه المناضل الفنان، المتنصل من كل هذا، العازف على أوتار النغمة الجديدة الســـائدة. وهـــذا الحـــوار دليل اضطراب الفترة الانتقالية التى خرج فيها من عنق الـــزجاجة، لكنه خرج وقد انطوت نفسه على بعض الآلام. إنه يرمق الماضى بيأس وبؤس، ويتأمل – فى الوقت نفسه – الحاضر بعين حذرة، لذلك فهو يقنع نفسه بأنه يـــؤدى عملاً ذا قيمة. فهو يحاول مسايرة الواقع. بدليل أن اسم برنامجه المذاع فى الراديو " الماضى والحاضر ".

وهـــاهو "عثمان خليل " يسترد إيمانه بمبادئه قبل خروجه من السجن. أما " عمـــر الحمـــزاوى " فقد راح فى غيبوبة من المرض، نتيجة لعدم تأقلمه مع الواقع الجديد الذى يفرض نفسه عليه.

وفى إطار الكشف عن بعض مظاهر اختلال الميزان، وفقدان الهوية، يناقش نجيـــب محفـــوظ قضية " الفن والعلم " وهو – فى الحقيقة – لا يعقد مقارنة بينهما محـــاولاً الانتصار لأحدهما دون الآخر، وإنما وضع العلم إزاء الفن فى صورة من صـــور استجلاء المتغيرات الطارئة التى جمعت المتناقضات فى سلة واحدة . إنها أزمة الفنان الذى يكتشف فجأة أنه بلا جمهور، فقد انصرف هذا الجمهور عنه لأن الـــنغمة قـــد تغيرت، واستوعبت شكلاً آخر، فهل يجارى الجمهور لكى يستمر، أم ينصرف كلية عنه متخلياً عن فنه الذى يعشقه ويجد فيه نفسه ؟!

إن عمر الحمزاوى قد ترك الشعر مضطراً لتغير الأوضاع والمفاهيم والقيم الطارئـــة على البيئة الجديدة. فظل ممزقاً بين الماضى والحاضر من جهة. ومتألماً مـــن ماض يحمل ذكرى آماله المودعة فى شعره، واغتصاب هذه الآمال عنوة من جهة أخرى وهو ما أصابه بحالة من فقدان الاتزان، والهروب من الماضى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثمة شيء يستوجب الالتفات، يتعلق بطبيعة مرض " عمر الحمزاوى " وهو إنسان نجيب محفوظ استرفاد معطيات علم النفس الحديث فى تحديد مظاهر مرض انفصام العقلى وأعراضه وفى رسم الشخصية – وقد تأثرت بهذا المرض – بكل أبعادها ومراحلها وتطورها. وقد ظهرت عليه – فجأة- أعراض المرض، وهاجمه القلق والاكتئاب، والملل، والإعياء ولم يدر أحد ممن حوله كيف بدأت هذه الحالة، وما أسبابها على وجه الدقة. وإذا راجعنا دراسات الطب النفسى التى أجريت بصدد مرض الفصام نجدها تحدد مظاهره، وتفصل أسبابه ونتائجه. فمريض الفصام يعانى اضطراباً فى الفكر، وتغيرات فى التفاعلات العاطفية، والميل إلى تفضيل الخيال على الواقع، والانعزال عنه . كما يعانى اضطراباً فى التفكير والسلوك والعاطفة ويتعثر عليه التكيف بنجاح مع واقع الحياة. ويعانى صراعاً بين الذات من جهة وواقع الحياة من جهة أخرى.

ولنعقد عملية مطابقة بين ظواهر المرض وفقاً لدراسات الطب النفسى، وبين أعراض حالة " عمر الحمزاوى " وفقاً لما ورد فى الرواية لاستكمال أبعاد هذه الشخصية المريضة بداء "الشيزوفرينيا". فالطب النفسى يحدد ملامح الشخصية المصابة بهذا المرض بعدة خصائص نعرضها فيما يلى:-

الظاهرة الأولى- الانزواء والانسحاب الاجتماعى، وهو عرض شائع ويشتد فى بعض الحالات ليؤدى إلى العزلة التامة. وربما كان سبب ذلك هو عدم قدرة المريض على الحصول على التدعيم الإيجابى من البيئة الخارجية مما يؤدى إلى مزيد من الاكتئاب ثم مزيد من العزلة[١٧]. وهو كذلك الانسحاب التدريجى من الحياة حيث ينمو لدى الشخص ميل متزايد للتحفظ وللانغلاق على الذات حتى يصبح شخصية منطوية على ذاتها،ويبدو كأنه فى برج عاجى أو أن ثمة حاجزاً يفصل بينه وبين بقية البشر،إذ يبدو أقل تلقائية،غير مبال بما يجرى حوله،مقللاً من تعامله مع الآخرين ومن نشاطه إلى أقصى حد [١٨]وبالعودة إلى "عمر الحمزاوى "نجده يضيق بالناس، ويفضل العزلة التى بدأت بتركه بيت الزوجية إلى الإقامة فى سكن آخر مع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" وردة " فـتاة الليل . لينتهى الحال بالاعتزال التام فى مكان بعيد عن الناس. ولقد أخـبر زوجته -يوماً- بعزمه على الاعتزال،ووفقاً لما ورد فى الرواية " أنه صمم على ألا يشغل نفسه بشيء وأن يزيح الدنيا عن عاتقه. ولها أن تعتبر الحال مرضاً واضحاً أو غامضاً ولكنه على أية حال لا يجد سبيلاً أفضل من الخلو إلى نفسه بعيداً عن الناس. وليس فى الموضوع امراة ، يجب أن تصدقه، ولا لهو أو عبث، ولكنها أزمة طاحنة بلغت ذروتها ولن تنفرج إن كان مقدراً لها أن تنفرج إلا بالطريقة التى اختارها. وتوسلت زينب قائلة:

-ولقـد تركناك وشأنك، إذا كنت كرهت العمل فاهجره، وإذا كان الحنين يراودك على الفن فاستجب له، ولكن لا تهجرنا إكراماً لأبنائك..

وخـزه الكلام ولكنه قال إنه لا فائدة ترجى من ثنيه عن عزمه الذى يسيره كالقضاء، فقالت:

-لقد حدثنى مصطفى طويلاً، وآلمنى أنك صارحته بما تخفيه عنى، ولكن انتحلـت لك بعض العذر أمام نفسى لغموض الحال التى تعانيها، ولا تؤاخذنى علـى عـدم فهمـى لما تبحث عنه من معنى لوجودك أو للحياة، ولكنى لا أجد علاقـة بين ذلك وبين انقلابك على عملك ومستقبلك وأسرتك، لماذا لا تعود إلى استشارة الطبيب؟

- لذلك لم أصارحك بكل شئ..
- ولكن المرض ليس بعيب..
- إنك تظنين بى الجنون..

فبكت حتى اضطرب جذعها ولكنه لن يلين وقال بتصميمه:

- الحل الذى اخترت فيه الخير لنا جميعاً.

فقالت بضراعة:

- اذهب إلى أى مكان حتى تسترد راحتك النفسية ثم عد إلينا..
- ربما حدث ذلك ولكن من الأفضل أن نوطن النفس على ذهاب لارجعة منه..

فاسترسلت فى البكاء حتى قال:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

.إن لم أفعل ذلك فإننى سأجن أو أنتحر..[ص١٤٩، ١٥٠]

وهذا النص يرتكز على قيمة كبرى من حيث دفعه عدة مدلولات فيما نحن بصدده، منها التأكيد على علاقة الحالة التى يمر بها "عمر الحمزاوى" بمرض انعدام العقل، والنص يشير – بألفاظ صريحة – إلى ذلك. وهى من المشاهد التى أعان فيها نجيب محفوظ القارئ على التوصل لطبيعة حالة عمر، وهذا من خلال عرضه صور للأفعال والمشاعر من الخارج دون شرح أو تأويل، ووصفه الظاهرة الفردية الواحدة من جوانب مادية مختلفة. ونقله الصور المادية والعواطف كما هى، ليستدل القارئ على الحقيقة فى السياق.(١٩) ومن مدلولات النص – كذلك – العزلة التامة التى أزمع عليها عمر ، وهى تمثل المرض فى آخر مراحله الخطيرة. ويكشف النص كذلك عن خاصية أخرى نتناولها فى الفقرة التالية.

الظاهرة الثانية– الترفع، والبرودة العاطفية، وانعدام العواطف الحارة الرقيقة، وتغير الوجدان عن سابق أمره(٢٠)

إن "عمر الحمزاوى " لم يعد يحب زوجته، فجأة، بلا سبب، وتعمق هذا الإحساس داخله حتى دعاه إلى ترك البيت. ولم يعرف كنه هذا الشعور الذى جعله ينفر من زوجته (زينب)، ويشعر ليس بالبرود العاطفى فحسب، بل بالنفور الممزوج بالكراهية " واستيقظ مبكراً بعد نوم ساعات معدودات. وطرق أذنيه صخب الأمواج العاصف فى سكون الصباح المعتم. وزينب مستغرقة فى النوم، مكتظة بالنوم والشبع تفرج شفتاها عن شخير خفيف متواصل، مشعثة الشعر. وأنت متضايق كأنما كتب عليك أن تناطح نفسك. وهذا يعنى أننى لم أعد أحبك. بعد الحب القديم والعشرة الطويلة والذكريات المليئة بالوفاء لم أعد أحبك. لم تبق ذرة حب واحدة. ليكن عرضاً يزول بزوال المرض ولكن الآن لا أحبك. وهو أشقى ما ألاقى من مر التجارب. وها أنت تسمع شخيرها فلا تعطف ولا يبتسم القلب. وتنظر إليها وتسأل ماذا جاء بها أو ماذا جاء بك ومن ذا قضى بهذه السخرة اللعينة؟![ص٤٧]

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفى حواره مع صديقه (مصطفى) يخبره بتلك المشاعر الطارئة تجاه زوجته، وتشير - من جهة أخرى - إلى برود عاطفته تجاه ابنتيه:

عمـــر- الأمـــر أخطر من ذلك، وليس العمل وحده الذى أصبحت أكره ولكن الداء يلتهم أشياء أخرى أعز علينا من العمل، زوجتى على سبيل المثال.

مصطفى- زينب!

فقال فيما يشبه الحياء.

عمـــر- لا أدرى كيف أتكلم ولكن للأسف لم أعد أطيقها، البيت نفسه لم يعد بالمأوى المحبوب!

مصطفى- أتقول ذلك عن مكان يضم بثينة وجميلة؟

عمر- من حسن الحظ أنهما ليستا فى حاجة إلى .....

تجهـــم وجـــه مصطفى ورمشت عيناه المستديرتان الذابلتان، وتجلت فى نظرته المستطلعة رغبة ملحة حزينة فى حل اللغز.

مصطفى- لكن مثلك لن يعجزه معرفة السر.

قال وهو يبتسم ابتسامة مريرة:

عمـــر- لعلـــه الكون- بدورانه الدائم على وتيرة واحدة – هو المسئول الأول عن ذلك.[ص٥٣]

الظاهـــرة الثالـــثة- شـــرود الذهـــن، واضطرابات النوم، المتمثلة فى قلقه، وصعوبة الدخول فى النوم بالإضافة إلى الاستيقاظ المبكردائماً[٢١] وكثيراً ما أشار نجيب محفوظ إلى قلق "عمر" ،وعدم تمتعه بنوم كاف وفى النص السابق إشارة إلى اســـتيقاظ عمر المبكر بعد نوم ساعات معدودات.أما خاصية شرود الذهن فهى من المظاهر السلوكية البارزة لعمر،والتى دعت بعض النقاد إلى تفسيرها بأنها نوع من البحـــث عن معنى الوجود وأشياء من هذا القبيل.وفى الحق أن تفسير هذه الظاهرة الطاغية فى الرواية على هذا النحوالفلسفى الوجودى قد أدى إلى نوع من الغموض واجـــه النقاد عند تأمل سلوكيات "عمر"ومحاولة تفسيرها،انعكس بدوره على تحليلهم لـــتلك المشـــاهد ،وكما أوردنا فى الصفحات السابقة ،وردت بعض التفسيرات غير

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشفافية،فنقرأ -مثلاً- أن عمر كان يبحث "عن حقيقة كل شيء،وأخيراً غرق في أكذوبة اليقين أو نشوة المطلق،لقد تبدت له في صحراء مظلمة على شكل خيط يتضح بلون وضيء عجيب،ولكن ما أسرع أن أدرك أن حقيقة كل شيء تكمن في اللاشيء"(٢٢)

وإني لأرى أن وضع هذه المشاهد في إطارها الذي طرحناه ،يفك الألغاز ، ويزيل الغموض ،ويصبح التفسير المرتكز على خاصية شرود الذهن بوصفها مظهراً من مظاهر مرض الفصام أكثر منطقية،وقبولاً.ولنتأمل واحدا من هذه المشاهد لنحتكم إليها:

" ولبث في الملهى حتى الثالثة صباحاً ثم انطلق بسيارته – وحده- إلى الطريق الصحراوي ... ثم أوقف السيارة في جانب من الطريق المقفر وغادرها إلى ظلمة شاملة. ظلمة غريبة كثيفة بلا ضوء إنساني واحد. لا يذكر أنه رأى منظراً مثل هذا من قبل. فقد اختفت الأرض والفراغ ووقف هو مفقوداً تماماً في السواد ... وأسند جسمه إلى السيارة ونظر نحو الأفق. وأطال وأمعن النظر. وثمة تغير جذب البصر. رق الظلام. وانبثت فيه شفافية ... وفجأة رقص القلب بفرحة ثملة. واجتاح السرور مخاوفه وأحزانه. وشد البصر إلى أفراح الضياء يكاد ينتزع من محاجره. وارتفع رأسه بقوة تبشر بأنه لن ينثني ... ولبث يلهث ويتقلب في النشوة . ويتعلق بجنون الأفق. وتنفس تنفساً عميقاً كأنما ليسترد شيئاً من قوته عقب شوط من الركض المذهل. وشعر بدبيب آت من بعيد. من أعماق نفسه. دبيب أفاقه. ينذر بالهبوط إلى الأرض. عبثاً حاول دفعه أو تجنبه. أو تأخيره. راسخ كالقدر، خفيف كالثعلب، سافر كالموت. تنهد من الأعماق واستقبل موجات من الحزن. وأفاق والضياء يضحك.[ص١١٧، ١١٨]

إنها لحظات غارقة في الشرود. وهي أحدى المظاهر الخارجية من سلوك البطل في انفعالاته وعواطفه، يستجلي من خلالها القارئ صورة من صور المرض النفسي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الظاهـــرة الرابعة- فشل الطب فى إيجاده سبباً عضوياً للحالة المرضية.وهى حقـيقة مؤكـــدة فـــى الدراسات الطبية المعنية بمرض الفصام،والتى تم فيها التأكيد علىعدم وجود ارتباط ما بين هذا المرض وغيره من الأمراض العضوية.ونجد مع هذا شكوى مستمرة من مريض الفصام ببعض الأعراض التى تخدعه ،وتجعله يظن أنـــه مـــرض عضـــوى ،فيأتى مصحوباً ببعض الاضطرابات الجسمانية.(٢٣) وهذه الخاصـــية تحديداً كانت مدخلا نجيب محفوظ إلى الرواية، وإلى الاقتراب من حياة (عمر الحمزاوى). فكشفت أول المشاهد عن زيارة "عمر" عيادة الطبيب لأنه يعانى مرضـــاً لا يعرف له سبباً. وغاية ما توصل إليه الطبيب أنه نوع من الإجهاد بسبب الإرهـــاق فى العمل. والمسألة تقترب من الاكتئاب وهو بدوره خطير، لأنه مقدمة لمرض أخطر. ومع هذا لم يشر إلى أى سبب عضوى لشكوى عمر" مضى به إلى حجـــرة الكشـــف وأخذت عينة من البول ثم خلع عمر ملابسه ورقد على السرير الطـــبى. وتتابعت الأوامر فأبرز لسانه، وفتح بشد الجفنين عينيه ، ونقرت الأصابع الرشـــيقة على مواضع فى الصدر والظهر وضغطت بشدة على أماكن فى البطن، واســـتعملت السماعة ومقياس الضغط، وتنفس بعمق، وسعل، وهتف: آه من الحلق مـــرة ومـــن الأعماق مرة أخرى. وجعل يختلس النظرات إلى وجهه ولكنه لم يقرأ شـــيئاً. وفرغ الرجل من كشفه فسبقه إلى مكتبه وما لبث أن لحق به. وأطلع الطبيب على نتيجة التحليل ثم نزل يديه وابتسم ابتسامة عريضة وقال:

-عزيزى المحامى الكبير، لا شيء ألبتة.

تحرك جناحا أنفه الطويل الحاد وازداد وجهه توردا:

- ألبته ؟!

- ألبته![ص٨، ٩]

الظاهـــرة الخامســـة- الفشـــل فى تحديد زمن الإصابة بالمرض. إن الحالة المرضية قد تبدأ فى الظاهر وكأنها عملية تلقائية لا ترتبط بحدث أو تجربة معينة، كما أنها قد تبدو أحياناً وكأنها نتيجة حدث معين تكونت على أثره أو بسببه. غير أن إمعان النظر فيما يحدث ولمن يحدث له يفيد فى كثير من الأحيان بأن ما بدا وكأنه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سبب للحالة المرضية أو مرسب لها، ما هو إلا نتيجة للحالة المرضية، والدليل على قولها بالأصل. (٢١)

وبالرجوع إلى الرواية نجد استيعاباً لتلك الخاصية - وكأن نجيب محفوظ يوثق العلاقة بين المرض وشخصية البطل - حيث تعرض نجيب محفوظ لها من خلال حوار دار بين (عمر الحمزاوى) وزوجته وهى تحاول معرفة أسباب تغيره، وانقلاب حياته وبالتالى حياتهم جميعاً فقالت:

-الحق أنى أتساءل عن السبب وراء ذلك كله، أطوارك جعلتنى أتساءل من جديد.

- لكننا شخصنا الحال بما فيه الكفاية.

- أجل، ولكن ألا يضايقك شئ بالذات.

- أبداً..

- يجب ان أصدقك.

- لكنك لا تصدقين تماماً فيما يبدو؟

- ظننت أن أمراً ضايقك، فى المكتب، فى المحكمة، عند أحد من الناس، وأنت حساس وبارع فى الحزن المكتوم!

- أنا لم أقصد الطبيب إلا لأننى لم أعثر على سبب محسوس.

- لم تحدثنى كيف بدأت الحال.

- طالما حدثتك عن ذلك.

- عن النتائج فقط ولكن كيف بدأ الحال على وجه التدقيق؟

- من الصعب أن أحدد تاريخاً أو أقرر كيف بدأ التغير. لكننى أذكر أننى كنت مجتمعاً بأحد المتنازعين على أرض سليمان باشا، وقال الرجل: " أنا ممتن يا أكسلانس، أنت محيط بتفاصيل الموضوع بدرجة مذهلة حقيقة باسمك الكبير، وأن أملى فى كسب القضية لعظيم" . فقلت له: " وأنا كذلك " فضحك بسرور بين وإذا بى أشعر بغيظ لا تفسير له، وقلت له : تصور أن تكسب القضية اليوم وتمتلك الأرض ثم تستولى عليها الحكومة غداً ،فهز

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رأســـه فـــى استهانة وقال: " المهم أن تكسب القضية، ألسنا نعيش حياتنا ونحن نعلم أن الله سيأخذها " فسلمت بوجاهة منطقه ولكن ذهل رأسى بدوار مفاجئ واختفى كل شيء.

- أكان هذا هو السبب؟
- أبداً .. لا أعرف سبباً على التحديد، ولكنى كنت أعانى تغيراً خفيفاً مستمراً، مـــن هنا جاء تأثرى الذى لا معنى له بكلام الرجل الذى تردده الملايين كل ساعة دون أن يحدث أى أثر لأى إنسان.[ص٤٥ ، ٤٦]

الظاهـــرة السادسة- الكسل، وإهمال العمل، وعدم الطموح أو الاكتراث بأى شئ.[٢٥] لقد بدأ (عمر الحمزاوى) يهمل عمله، ويقصر فى القيام بمهامه، على الرغم من أنه يشتغل بعمل حيوى، يتعلق بمصالح الناس وحقوقهم. فالعمل فى مكتبه توقف - تقريباً- بل ترك المكتب للمحامى المساعد، وكل القضايا تؤجل منذ شهر- حسب شرحه للطبيب - وكذلك ترك المجال فى عمله لصديقه (عثمان) بعد خروجه من السجن، لكى يحل محله فى المكتب. " ما أغرب الذهاب كل يوم إلى المكتب. مكان غريب لا معنى له فمتى توجد الشجاعة الكافية لإغلاقه.

وقال له الوكيل:

كل يوم أعتذر عن قضية، ألم تسمع عما تعانيه المهنة؟! وكدت أصبح بلا نشاط. وغيره يتحمل عبء العمل فى الواقع وهو بالكاد يوجه أو يراجع"[ص٧٧]

الظاهـــرة السابعة- هذا المرض يصاب به الكثيرون من العباقرة إلى درجة عملت على الافتراض بوجود رابطة جذرية بين الإبداع وبين الشخصية الشيزية[٢٦]. وعمـــر الحمزاوى شاعر، له قصة طويلة مع الشعر، فهو كل حياته، (لا شئ غير الشـــعر)، (إن الشعر هو حياتى وأن تزاوج شطرين ينجب نغمة ترقص لها أجنحة السماوات)[ص٢٣ ،٢٤]

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الظاهرة الثامنة- الوهم والانخداع الحسى، والوقوع فيما يسمى ""هلاوس حسية"، فيتخيل المريض - مثلاً- أن شخصاً ما يطارده، أو أن شيئاً ما سيحدث من تدمير، أو أذى يصاب به، أو أن يشم روائح غريبة، كل هذا يشعر به المريض، وكأنه فى حالة وحده.[٢٧] ولقد مرت بـ"عمر "أشياء من هذا القبيل،فوقع فريسة لتلك الهلاوس ، خاصة عندما كان يختلى بنفسه، أو يتأمل الطبيعية. وفى واحدة من تلك الحالات نجده يقول لصديقه (مصطفى):اللعنة إنى أشم فى الجو شيئاً خطيراً ويرعبنى إحساس حركى داخلى بأن بناء قائماً سيتهدم[ص٢٢] .

الظاهرة التاسعة- اتجاه المريض نحو ممارسات جديدة بالنسبة له ولظروفه الحياتية ولعمره، كالاتجاه نحو المواضيع الفلسفية والصوفية والدينية والتفكير المجرد فى أمور الخليقة والإنسان

[٢٨]. ولقد كان سر الوجود أهم ما يشغل ذهن عمر، ويستحوذ على تفكيره. كما انشغل بمسألة خلق الإنسان، وعلاقته بالله. إنه كان معنياً بنوع من الأسئلة من ذلك النوع الفلسفى المجرد، الذى لا ينبغى إثارته فى الأحوال الطبيعية،حتى بلغ الظن بأنها رواية فلسفية،تعنى بالبحث فى سر الحياة،وكأن هذه الأمور هدف فى ذاتها.بينما تخبرنا تلك الخاصية المرضية بأن هذا الاهتمام بمثل تلك الأمور ما هو إلا مؤشر إلى تمكن المرض من "عمر الحمزاوى" ،وأنه يتطور،ويتحرك نحو النهاية.

وفى رأيى أن سبب تأثر عمر بكلام العميل فى المكتب يعكس ذلك. لذا شعر فجأة بدوار، واختفى كل شئ. إن جملتا (عمر) و (العميل) تنطويان على أكثر مما تشير إليه الألفاظ. "تصور أن تكسب القضية اليوم وتمتلك الأرض ثم تستولى عليها الحكومة غداً ". وهى تنطوى على تصور آخر يكمن فى سعى الإنسان وراء الحياة فى معركة عنيفة لامتلاكها. يضحى بالكثير فى سبيل ذلك، ويبذل جهداً كبيراً. حتى يظن أنه قد امتلكها، ثم تتحطم الأوهام على صخرة الحقيقة، الحقيقة التى لا مفر منها، الموت، ثم يؤكد العميل هذا المعنى الذى دار برأس (عمر)، ولكن بمعناها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحقيقى، وألفاظها الصريحة " المهم أن تكسب القضية، ألسنا نعيش حياتنا ونحن نعلم أن الله سيأخذها".

وفـــى إلحـــاح من تلك المسائل الفلسفية نجده يحاصر بها (وردة) وهى أبعد إنســـان عن إدراك ماهيتها، لكنه يلاحقها بالأسئلة بصورة تعكس إلحاح هذه المسائل داخله:

-خبرينى ياوردة لماذا تعيشين؟

فهزت منكبيها وأتت على كأسها. ولكنه كرر سؤاله بجدية لا لبس فيها ، فقالت:

- وهل لهذا السؤال من معنى؟
- لا بأس أن نسأله أحياناً.
- إنى أعيش، هذا كل ما هنالك..
- بل إنى أنتظر جواباً أفضل..

فكرت قليلاً ثم قالت:

- لنقل إنى أحب الرقص، والإعجاب، وأتطلع إلى الحب الحقيقى!
- هذا يعنى أن الحياة عندك هى الحب..
- ليكن..
- ألم تحبى مرة ثم كرهتى الحب؟

فقالت بامتعاض:

- غيرى فعل..
- وأنت؟
- كلا..
- كم مرة أحببت؟
- قلت لك يوماً..

ولكنه قاطعها:

لندع جانباً ما قلته يوماً، صارحينى الآن بكل شئ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- هذا هو طبعك الوحش يغلبك..

- ألا تريدين أن تتكلمى؟

- قلت ما عندى..

فتنهد أسفاً، ثم سألها محموماً..

- والله. ما موقفك منه؟

حدجته بنظرة ارتياب حادة فقال بتوسل:

- أجيبينى من فضلك يا وردة.

- أومن به..

- بيقين؟

- طبعاً.

- من أين جاء اليقين؟

- إنه موجود وكفى..

- أتفكرين فيه كثيراً؟

ضحكت كالمرغمة وقالت:

- عند كل حاجة أو شدة.. [ص١١٥، ١١٦]

الظاهـرة العاشـرة- الاضطراب السلوكى؛ وتشمل العديد من الحالات التى تمثل انحـراف الفـرد نحو سلوك أو آخر مما يزيد على ما هو مقبول اجتماعياً، واكتسـاب عـادات وتقاليد وسلوك تختلف عن الشخصية الأولى، واتخاذ نمط من العلاقات غير الثابتة والتى تكون عاطفية(٢٩)

ونجـد فـى الرواية – تطبيقاً لتلك الخاصية – إقدام (عمر الحمزاوى) على الخوض فى علاقات غير شرعية، وبطريقة عشوائية. حيث تكون العلاقة نفسها أهم لديـه ممـن يقـيم معهـا هذه العلاقة. فاتجه إلى ملهى ليلى وتم ترشيح (وردة) – الراقصة – له. وانتقل معها إلى مسكن مستقل بحثاً عن حياة جديدة تخرجه من حالة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاكتئاب التى تمر به، وتكون بمثابة الحجر الساقط فى المياه الراكدة. و يوضح الحوار التالى – بينه وبين مصطفى – خروجه عن السلوك المألوف :

مصطفى- ترى أترغب فى أن تودع الحب الوداع الأخير؟

فقال مقتضباً:

عمر- أتظنه عرضاً من أعراض السن الحرجة؟! ولكن ذلك يعالج ببساطة ويمر بسلام عندما يندفع زوج وقور على غير توقع إلى الملاهى الليلية، أو يتزوج من امراة جديدة، وقد ترانى يوماً راكضاً وراء امراة ولكن سيظل ما يدفعنى شيئاً أخطر من أعراض السن الحرجة.[ص٥٧]

وهذا تسويغ من نجيب محفوظ لتلك العلاقة ، وكأنه فى هذا التوضيح بالنفى لدوافع الانغماس فى هذه العلاقات غير الشرعية، لا يريد أن يتخذ غير المرض سبباً لها.

الظاهرة الحادية عشرة-الخلط بين الحلم واليقظة، الوعى واللاوعى . فالمريض بالفصام العقلى لا يستطيع التفريق بين واقع الحلم وواقع اليقظة، واقع العالم الداخلى كما يتخيله، وواقع العالم الخارجى كما هو، لذلك لا يستطيع إبعاد خيالاته وأحلامه،ولا يستطيع تصحيحهاعن طريق قياسها بالواقع[٣]

وقد ظهرت هذه الخاصية – لدى عمر – فى مرحلة إعطاء المؤشر لآخر مراحل المرض .حيث ينفصل المريض تماماً عن عالم الواقع وتختلط عليه الحقائق، ولا يدرى أهى حلم أم حقيقة. فتتركز الهلاوس السمعية والبصرية عنده وهو يجلس – وحيداً بعيداً عن الناس – على الحشائش فى حالة بين الحلم واليقظة.غير مدرك لما يحدث حوله من أمور جسيمة. فعثمان يخبره بأنه قد تزوج من ابنته (بثينة) وتحمل جنيناً منه، والبوليس يطارده. ولم يفق. يحدثه عن مصير أسرته بعد فقده، وأنه ربما يقع هو نفسه فى قبضة البوليس ظناً بأنه شريك له فى العمل السياسى ولا يدرى بما يقول. لا يرى إلا صوراً لأ ناس تتغير أشكالها، وتتبادل شخصياتها. فيرى ورد الحديقة وقد انقلب إلى وجوه يعرفها تماماً. وتبدت زينب برأس وردة، ووردة برأس زينب وإذا بسمير (ابنه) يثب إلى الأرض متخذاً من رأس عثمان رأساً له[ص

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

[٢٠] وهذا المشهد الختامى -تحديداً- يحيطه الغموض مما يجعل مسألة تحليله النقدى غير واضحة،والتفسير الوحيد لهذه التهيؤات هو ما ذهبنا إليه من أن هذه الشخصية غير سوية،وللطب النفسى ملاحظات على ذلك،حيث قرر فى متابعة حالة مريض الفصام بأن العمليات العقلية التى تحدث فى التفكير الضلالى له تشبه العمليات التى ذكرها فرويد فى تحليله للأحلام فى الربط بين الأشياء بعضها ببعض نتيجة وجود خصائص مشتركة بينها فى ذهنه؛ فالإنسان الطبيعى قد يرى زوجته فى الحلم مثلاً تظهر مكتسبة الخصائص الجسمانية لرئيس العمل.فكلا الشخصين يظهران فى الحلم كشخص واحد لأن الحالم يكون مشغولاً بسمة مشتركة بينهما هى موقف السيطرة وهكذا نرى أن الحالم حينما يحلم والفصامى حينما يمارس ضلالاته فإنهما يفكران بطريقة نفهمها على أنها مجازية أو استعارية. والفصامى حينما ينغمس فى عالمه الضلالى يبدو لنا أنه يحيا فى عالم المجاز.لكن علينا أن نتذكر،أن ذلك العالم مجازى بالنسبة لنا وليس بالنسبة للمريض"[٣١] ثم يقبض عليه مع عثمان فى حالة سيئة وعلى هيئة تشبه هيئة المتشردين والمتسولين. وهذه الهيئة نفسها قد حددها الطب النفسى لمريض الفصام. ويمكننا وضعها فى **الظاهرة الثانية عشرة** ،وهو الانتهاء بالمريض خاصة فى آخر مرحلة ،وهو يبدو كالمتشرد أو الشحاذ[٣٢]

من هذا يتضح إلمام نجيب محفوظ بمعطيات الطب النفسى والإفادة منها فى تجسيد الشخصية المحورية فى الرواية. وهى محاولة جادة، قائمة على تتبع النماذج الغربية الخاضعة للاتجاه الأدبى الحديث فى فن القصة. وهى تشير إلى تجديده، وتطويره فى مجال الرواية العربية فى تجريبه، وتتبعه المسار الغربى فى هذا المجال. ومن ثم تنوعت اتجاهات الرواية لديه، فزادتها ثراءً.

وفى الحق أن إلمامه بالجوانب النفسية[٣٣] واطلاعه على دقائق مرض الفصام، والسعى وراء تتبع مظاهره جعلته يملك زمام الشخصية دون مبالغة، أو تهويل أو تعدى على الحقائق العلمية. وعندما نقف على كلام الدكتور محمد غنيمى هلال بصدد ضرورة توفر صدق الكاتب فى التجربة القصصية، نجده يتطابق مع ما صنعه نجيب محفوظ فى تجربته القصصية حيث يقول عن الكاتب: " لا بد له فى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القصـــة من أن يدرسها فى واقع الحياة، ويستقصى فى ملحوظاته ما استطاع، حتى يتيسر له الكشف عن جوانبها، وتصويرها تصويراً فنياً صادقاً. وليس له فى ذلك أن يتجاوز بحال خبرته.أو يصور مالم يحط به خبراً، إذ لن يتسير آنذاك تبرير الأحداث والحالات النفسية والقضايا الاجتماعية تبريراً موضوعياً بوقائع الحياة وحقائقها"(٣٤)

البناء الفنى والظاهرة المرضية

أولا: التكنيك الفنى:

إن قراءة رواية " الشحاذ "، ومحاولة رصد عناصر التكنيك الفنى بها لا بد أن تكـــون فى ضوء الوعى بطبيعة الشخصية المحورية فيها. لأنها تفسر جوانب كثيرة مـــن هـــذه العناصر الخاصة والتى تتسق - فى الوقت نفسه - مع اتجاه فن القصة الحديث.

ينـــبغى - أولاً- الالتفات إلى العدول عن استخدام ما يسمى (تيار الوعى)، لأنـــه لا يتناســـب مـــع الشخصية المريضة. القاصرة عن التعبير عن نفسها، غير المؤهلة لنقل مشاعرها، وعواطفها وانفعالاتها بصدق ودقة. وهذا النوع من القصص يلجـــأ فيه الكاتب - عوضاً عن تيار الوعى - إلى وصف الصورة الخارجية، لأن الوعـــى الباطـــنى لا وجـــود له فى الأشخاص فى بعض الحالات، كحالات الجنون والســـكر مثلاً، فلا يمكن استبطان الشخصيات فيها. فالاستغراق فى التحليل النفسى يـــزيف الشخصية . على أن التصوير الآلى بالانعكاسات تتجلى فيه حقيقة العوامل الاجتماعـــية والماديـــة التى تتحكم فى موقف الفرد أكثر مما تتجلى فى الاستبطان الداخلـــى. فتصـــوير الموقف هو الذى يعنى كتاب القصة الحديثة، ثم إن الاستبطان الداخلـــى بالتفســـير النفسى يدع كل شيء معللاً ومفهوماً فى سلوك الشخصية، على حيـــن يكتســـب التصوير المادى قوة فى غموض الجوانب الحيوية وتعقيدها، فيترك مجالاً قوياً للإيحاء(٣٥).

ولا يعنى هذا الاستغناء - كلية - عن (تيار الوعى) أو (المنولوج الداخلى) ولكـــن قـــد يـــتم اســـتخدامهما فى أضيق الحدود. وبشكل لا يمنحهما تلك الأهمية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمساحة الموجودة فى روايات التحليل النفسى. وهذا يفسر التخفف فى استخدام أسلوب (تيار الوعى) و(المنولوج الداخلى) فى رواية الشحاذ، إذا ما قورنت بأعمال سابقة عليها مثل [اللص والكلاب – السمان والخريف – الطريق] ؛ ذلك لأن رواية الشحاذ – التى تكشف عن ملامح شخصية مريضة – تمثل الاتجاه الأحدث فى فن القصة. وإن كانت هذه الروايات جميعاً تمثل الاتجاه النفسى .و يرى الدكتور محمود الربيعى أن نجيب محفوظ يدخر أسلوب (تيار الوعى) فى هذه الرواية " "للمواقف الحاسمة التى تشكل معالم على الطريق فى تطور كل من الحدث والشخصية وتحتل منعرجاته، لا أجزاءه المستوية المتشابهة. وأخطر موقف فى الرواية يستخدم فيه هذا الأسلوب هو موقف التحول النفسى عند "عمر الحمزاوى"، وهذا التحول يعمل على نحو متعدد الجوانب، ولكن هذه الجوانب يتضح فيها جميعاً التضاد الكبير بين موقفه فى الحاضر وموقفه فى الماضى، سواء أكان هذا التضاد متصلاً بمعتقده أم بعواطفه. وهذا التقابل فى الموقف– الذى تلتقى عنده مشاعر مجمعة بأسلوب تيار الوعى من خيوط تنتمى إلى أنسجة متباينة فى الماضى والحاضر والمستقبل – من شأنه أن يسلط الضوء بشدة على مواطن التصدع الخطير فى هذا الجانب الروحى من الشخصية"(٣٦)

ولقد استخدمه نجيب محفوظ فى أضيق الحدود ليمثل نوعاً من التداخل يعكس الخلط والتشويش فى ذهن البطل، ويعكس مأساته المنبثقة عن التقاء الماضى والحاضر فى بؤرة التناقض. ومنها مثلاً تلك القفزة من الحاضر إلى الماضى ،التى عبرت عن اضطراب الجانب العاطفى لديه، حين نظر إلى زوجته وهى نائمة فى الفراش وهو يشعر بانطفاء جذوة الحب داخله:

ولكن الآن لا أحبك. وهو أشقى ما ألاقى من مر التجارب. وها أنت تسمع شخيرها فلا تعطف ولا يبتسم القلب. وتنظر إليها وتسأل ماذا جاء بها أو ماذا جاء بك ومن ذا قضى بهذه السخرة اللعينة؟

-مصطفى .. هاهى الفتاة!

-الخارجة من الكنيسة؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-هى هى ..انظر إلى فستانها الأسود حداداً على عمها.. أى ملاحة!

-ولكن الدين.

-لم أعد أكترث لهذه العوائق.

وقلت لها يسعدنى أنك تنازلت بقبول معرفتى .

فى حديقة العائلات قدم عمر الحمزاوى المحامى نفسه فتمتمت بصوت لا يكاد يسمع (كاميليا فؤاد) يا عزيزتى حبنا أقوى من كل شيء وسوف نتغلب على أى عائق فقالت وهى تتنهد " لا أدرى "

ويوماً ضحك مصطفى فى جو عاصف وقال:

-إنى أعرفك منذ عهد أدم ، بحاثة عن المتاعب، زوبعة فى بيتك وزوبعة أعنف فى بيتها وأنا حائر بينكما.

ثم ما أجمل موقفه وهو يرفع كأسه صائحاً.

-مـــبارك عليكما، أصبح الماضى فى خبر كان، ولكن تضحيتك لا تقاس بتضحيتها، وللعقائد طغيان حتى على الذين نبذوها، صحتك يا زينب، صحتك يا عمر.. وانتحى به جانباً وراح يقول وهو سكران تماماً:

-لا تـــنس الأيام الأليمة، لا تنس الحب أبداً، تذكر أنه لم يعد لها أهل فى هذه الدنيا، مقطوعة من شجرة، ولا أحد لها سواك.[ص٤٧ ،٤٨]

والملاحظ هنا تداخل الأزمنة ، وهو يعبر عن زمنين مختلفين ، لا يكاد يشعر بهمـــا المـــتلقي ،وهـــى تكشف عن هذا التناقض الصارخ بين عاطفته الخامدة تجاه زوجـــته الآن ، فـــى حيـــن كانت فى أوجها فى الماضى .حين كان يتأملها بعيون معجـــبة، وقلب محب رغم فوارق الدين. والآن يراها تتقلب فى الفراش، ولا يشعر تجاهها بأى شيء ، هل هو شعور بالذنب يتسلل عبر هذا الارتداء الزمنى. ليس لها أهل إلا هو. لكنه يتخلى الآن عنها دون جريرة. إنه الشعور نفسه الذى كان يلاحقه فـــى علاقـــته بعـــثمان ،فقد هرب ذات ليلة من ليالى النضال والثورة وترك عثمان يواجـــه مصيره فى السجن. وهذا الشعور بالذنب تجاه الآخرين من مظاهر مرض الفصام.(٣٧)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانياً: الإيقاع والبناء الدرامى

لقد جاءت بداية الرواية قوية وسريعة، ومتسقة مع اتجاهها النفسى. ولقد حيرت ذهن المتلقى لاستقبال القصة، والتعامل معها. تأمل هذا المدخل :" سحائب ناصعة البياض تسبح فى محيط أزرق، تظلل خضرة تغطى سطح الأرض فى استواء وامتداد، وأبقار ترعى تعكس أعينها طمأنينة راسخة، ولا علامة تدل على وطن من الأوطان، وفى أسفل طفل يمتطى جواداً خشبياً ويتطلع إلى الأفق عارضاً جانب وجهه الأيسر وفى عينيه شبه بسمة غامضة. لمن اللوحة الكبيرة يا ترى؟ . ولم يكن بحجرة الانتظار أحد سواه. وعما قريب يأزف ميعاد الطبيب الذى ارتبط به منذ عشرة أيام. وفوق المنضدة فى وسط الحجرة جرائد ومجلات مبعثرة، وتدلت من الحافة صورة المرأة المتهمة بسرقة الأطفال. رجع يتسلى بلوحة المرعى. الطفل والأبقار والأفق. رغم أنها صورة زينة رخيصة القيمة ولا وزن إلا لإطارها المذهب المزخرف بتهاويل بارزة. وأحب الطفل اللاعب المستطلع والأبقار المطمئنة ولكن ازدادت شكواه من ثقل جفوته وتكاسل دقات قلبه. وهاهو الطفل ينظر إلى الأفق ينطبق على الأرض. دائماً ينطبق على الأرض من أى موقف ترصده، فياله من سجن لا نهائى " .[ص٥]

وهنا تظهر عبقرية نجيب محفوظ في اختيار أسلوب العرض في الرواية، حيث جعل القارئ يسأل عن معنى اللوحة المعلقة في عيادة الطبيب، وعن الوصف الغريب الذي وصفها به الكاتب ؟ هذه واحدة، أما الأخرى فهي الإيقاع السريع اللاهث في الولوج إلى عرض موضوع الرواية والدخول مباشرة قلب الأحداث.

فلنقرأ هذا النص مرة أخرى بتأمل لنقف على كم معطيات جوانب الشخصية:

- استخدام تعبير " لا علامة تدل على وطن من الأوطان " فيه إيحاء بفقدان الهوية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ما بين وصف الصورة، والتعليق عليها، كشف نجيب محفوظ عن المكان إنه عيادة طبيب. والجالس متأملاً للصورة: ما هو إلا إنسان يعاني من مرض ما ، وهي بداية سريعة جداً.
- " تدلت من الحافة صورة المرأة المتهمة بسرقة الأطفال " جملة ربما تبدو مع القراءة غير المتأملة وكأنها شاذة، لا قيمة لها. بينما هي تمثل عمق المأساة التي جاء من أجلها المريض. إنها التناقض الموجود حولنا، إذ يجمع نجيب محفوظ من خلال ما ارتبط في ذهن المريض الجالس - بين براءة الطفل كما ظهرت في الصورة والمرأة التي تسرق الأطفال إنها الأزمة الحقيقة بين ما يريده الإنسان وما يواجهه في الواقع. إننا نعيش في محيط يتم فيه تشويه أي جمال يمكن أن يمس مشاعرنا، ورغباتنا وآمالنا، إنه الواقع المر الذي يوقظنا من أحلامنا الوردية بالسكين.
- تخلل مشهد الوصف والتعليق عليه - أيضاً في انتقالة سريعة - الكشف عن شكوى الجالس في حجرة الانتظار من ثقل الجفون، وكسل دقات القلب. وهذا معناه ارتباط أثر الصورة - في نفس المريض - بشكواه العضوية الظاهرية. إذن المعاناة تكمن في التأثر السريع بما يدور في الواقع من متناقضات، وإلا ما الذي جعل المريض يتأمل هذه الصورة مع بساطتها وقلة قيمتها فهي صورة زينة رخيصة القيمة، وربما لا يلتفت إليها أحد على الإطلاق. لكنها مست داخله جوانب معينة، وحركتها، فتفاعل معها. ما الأمر إذن؟! إن البداية تشي بأن الأمر ربما يكون أبعد من كونه مريضاً يعاني مرضاً عضوياً، ويؤكد على هذا بتعليقه - من قبل المريض - على الصورة، بانطباق الأفق على الأرض " يا له من سجن لا نهائي".وهذا يجعلنا نتقبل بعض التفسيرات التى تم طرحها بصدد هذا المشهد بكثير من الحذر،فقد فسرت على أن هذا الطفل"يتطلع إلى الأفق أو إلى ما وراء الأفق..إلى المجهول،تماماً كعمر الذى يبحث عن أشياء غريبة غامضة أو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن شئت تتعدى حدود السؤال و الجواب.و البسمة في عين الفارس الصغير إنما هي دليل على الأمل في العثور على المستحيل..كعمر الذي لم يكف عن التسول والبحث والذي راح يخاطب المقاعد والجدران والنجوم والظلام،وبخاصم الخلاء.وقد يكون معنى{الاعلامة تدل على وطن من الأوطان}أن هذه الرواية لاتتحدث عن بلد ما،أو قطر ما،أوشخص ما،إنماهي مشكلة البشر عامة(٣٨)

لقد قدم لنا مفتاح العمل برمته، لنتجه به وجهة خاصة في مراقبة باقي الأحداث. ونلحظ مع هذا التدافع لعرض العمل إيقاعاً سريعاً جداً سواء في إعطاء المؤشرات بطبيعة العمل، أم بخلق مساحة مضطربة، قلقة، أنفاس لاهثة تريد أن تهرب من الصدر، وآلام مبرحة تموج في النفس تكاد تشق الضلوع، وفي هذا تمهيد نفسي يتسق تماماً مع طبيعة الشخصية المحورية في الرواية "عمر الحمزاوي " . فجاء الحوار – خاصة في الجزء الأول من الرواية – سريعاً، متلاحقاً ؛وهذا أمر يتطلبه العنصر الفني عندما نكون بصدد نفس معذبة، لا تزال تجربتها النفسية في طور العرض على من حولها، فلا أحد يعلم بحقيقة مرض عمر، لا الأصدقاء (٣٩) ولا زوجته ولا ابنته. كل ما كان يشكو منه هو حالة من الخمود والشعور بالإرهاق، والعزوف عن الأشياء، ولنتأمل سرعة الإيقاع في وصف عمر الحمزاوي لحالته في بداية رحلة المرض، وبداية تحرك الحدث والإحساس داخل الشخصية، وقد دخل في موجة من المنولوج الداخلي مستسلماً لأفكاره " خف الوزن ودب النشاط ولكن ما أفظع القلق. الذباب والعمل والزوجة. ويوماً ستجد بثينة ما يشغلها عنك ومثلها جميلة التي تشيد الأهرام من الرمال. خبرني بالله ماذا تريد ؟. ولماذا يخيم الصمت رغم الضجيج ؟ ولم ينبأ شيء في صدرك بمخاوف هوائية ؟. وفي كل لحظة تشعر بأن صلة تتمزق محدثة صوتاً مزعجاً. وأن قائماً يتزعزع وأن أسنانك توشك أن تتساقط. وسوف تفقد الوزن في النهاية و تسحب في الفضاء. اشدد قبضتك على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأشياء، وانظر إليها طويلاً فعما قليل ستختفي ألوانها. ولن يكترث لك أحد. وها هي الأمواج تطيح بأهرام جميلة مشيدة من الرمال. [ص٣٠، ٣١]

أما في حواره مع الطبيب في بداية الرواية، بل أقول المدخل القوي السريع، فقد بدأت تقفز الكلمات من بين الحوار قفزاً لاهثاً متلاحقاً، إن عمر الحمزاوي يريد أن يتخلص من شيء ما يجيش في صدره، فيشرح للطبيب حقيقة مرضه وعمقه، لعله يجد عنده الدواء.

- الحق أنه نتيجة لذلك الخمود ماتت رغبتي في العمل بحال لا تصدق..
- استمر..
- ليس تعباً بالمعنى المألوف، يخيل إليّ أني ما زلت قادراً على العمل ولكني لا أرغب فيه، لم تعد لي رغبة فيه على الإطلاق، تركته للمحامي المساعد في مكتبي، وكل القضايا تؤجل عندي منذ شهر.
- ألم تفكر في القيام بأجازة ؟

فواصل حديثه وكأنه لم يسمعه:

- وكثيراً ما أضيق بالدنيا، بالناس، بالأسرة نفسها، فاقتنعت بأن الحال أخطر من أن أسكت عنها.
- إذن فالمسألة ليست..
- المسألة خطيرة مائة في المائة، لا أريد أن أفكر أو أن أشعر أو أن أتحرك، كل شيء يتمزق ويموت، فخطر لي على سبيل الأمل أنني سأجد لذلك سبباً عضوياً. [ص٧، ٨]

ونلحظ – في هذا الحوار – تمهيد المسألة للقارئ، ولفت انتباهه إلى أن معاناة "عمر الحمزاوي" تتعدى حدود المرض العضوي، فيبدأ من فوره الانتباه إلى نوع آخر من المرض ، وما عساه أن يكون غيرنوعية المرض النفسي؟!

وتبدأ الرواية في خط مستقيم لا يشوبه غموض بعد أن زلل نجيب محفوظ هذه العقبة، لأنه لا يريد أن يشغل ذهن القارئ بمحاولة البحث في نوعية مرض البطل، فهذا ليس الغرض في المقام الأول. و هو لم يزل هذه العقبة بسرعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإيقـاع، ولكن بأسلوب عرض "عمر الحمزاوي" لمشكلته الصحية ، وكثرة ما ورد في كلامه - في أول الرواية - من تأملات، والخوض في الأمور الفلسفية، وكثرة حواراته الداخلية مع نفسه.كل هذا قد وجه دفة الرواية منذ البداية توجيهاً يبعد عـن إشاعة جو من الغموض يتعلق بالأحداث. وترك مساحة الغموض لتلتبس بحجم المرض ونوعيته الدقيقة جداً بين شخصيات الرواية أنفسهم بحيث يعلم القارئ منذ اللحظات الأولى طبيعة مرض عمر بينما يجهله المقربون منه، لإعطـاء الفرصـة لتطور المرض وانعكاس هذا التطور على الآخرين، فتأخذ بذلك تفاعلات الحدث في النمو داخل الشخصيات، وليست داخل الرواية نفسها، حيـث لم تكن تلك الرواية " الشحاذ" من الروايات التقليدية التي يمكن أن نطلق علـيها " روايـة حـدث " ولكـنها رواية يأخذ البطل فيها المساحة الأكبر من الاهتمام.

فقد أكد عمر منذ البداية أنه يعاني تعباً، لكنه ليس تعباً بالمعنى المألوف، وأن المسـألة خطيرة، لذلك لم يلتفت إلى كلام الطبيب عندما أشار عليه بالقيام بأجـازة. فالمسألة أكبر من أن تكون اكتئاباً وتوتراً نتيجة كثرة العمل، والتفكير الدائم في المستقبل، ومصير أمواله.

ويظهر أيضاً من خلال حوار عمر مع الطبيب، تلاحق الكلمات، حتى أن عمـر لـم يـترك - أحياناً - المجال للطبيب لكي يكمل كلامه، فكان يقاطعه، ويسترسل في كلامه، وكأنه يريد أن يلقي بما في جوفه ليستريح من اضطرامه داخله. ونجد على العكس تماماً في وسط ونهاية الرواية حيث بدأ المرض يتمكن تمامـاً مـن عمر، ويصل إلى مراحله الأخيرة وقد تعب، وشعر بالإعياء نتيجة طول المعاناة، فنلاحظ هبوطاً شديداً في اتجاه حركة الإيقاع، يعكس رتابة حياة عمـر الـتى أصـابها الركود. وفى حواره مع صديقه " عثمان " الخارج من السـجن، نلحـظ هذا التثاقل من جهة عمر، فهو كثير الصمت وكثير الشرود، يتحدث وكأنه يخرج من فمه أطناناً من الحديد والحجارة:

-حدثني عما تنوي أن تفعله..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقال بتصميم:

-أن الأوان لأن أفعل ما لم أفعله في حياتي وهو ألا افعل شيئاً.

-لا شك في أنك تمزح..

-لم أكن جاداً كما أكون اليوم..

فتراجع عثمان أمام تجهمه الصارم وقال برقة:

-ألا تفكر في استشارة طبيب ؟

-لا أستشير أحداً فيما يجهله..

وزحف صمت مرهق حتى خرقه عمر متسائلاً:

-وأنت هل تقصر جهودك على المحاماة ؟.

-أجل ولكني لا أكف عن التفكير.. [ص١٤٩]

وفـــي حوار آخر مع عثمان- أيضا - يحدثه عن الماضي وعن مرحلة يهرب عمر من تذكرها، والخوض في ذكرياتها:

-شكراً شكراً.. ولكن حدثني عن أخبار الدنيا ؟

لا يـــريد أن يـــتزحزح يا للغرابة. كأنك لم ترتبط به يوماً ما. وكأنك لم ترغب قط في هذا اللقاء. لاشيء مشترك بينكما إلا تاريخ ميت. ولا يوحي إليك إلى بمشاعر الذنب والخوف وازدراء النفس. ولم يدر بعد بأن كتب الغيب حلت محـــل الاشـــتراكية في مكتبتك. وها هو يعترضك كقدر وأنت تهرب من الأهل والدنيا.

وضاق عثمان بصمته فسأله مستدرجاً:

-حدثني عن أصحابنا ؟

-آوه.. تفرقوا، لا أعرف منهم اليوم إلا مصطفى المنياوي..

-وماذا فعلتم ؟..

-الحق أن السنوات التي تلت القبض عليكم اتسمت بالعنف والإرهاب فلـــم يكـــن بد من أن تركن على الصمت، ثم انشغل كل بعملـــه، وتقدم بنا العمـــر على نحو مـــا، ثم قامت الثورة وانهار العالـــم القديم.. [ص١٣٢، ١٣٣]

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن نجيب محفوظ قد استخدم في هذه الرواية - في تصوري - أساليب فنية مختلفة عن المألوف من أنماط التكنيك الفني، ففضلاً عما سبق ذكره ، فقد استخدم نجيب محفوظ ما يمكن أن نطلق عليه عنصر (التمهيد)، وهو عنصر موفور الثراء الفني، ويصور بجلاء عبقرية نجيب محفوظ في انتقاء أساليب خاصة به، تشير أبدا إلى تفرده، وعمق موهبته، وإتقانه عمله. لقد ربط نجيب محفوظ بين مدخل الرواية والدخول إلى عمق الأحداث المتمثلة في تطور الشخصية المحورية، وما يعتريها من اضطرابات، وتناقضات بسلسلة من التمهيدات لذلك كان بمثابة الجسر الذي عبر به القارئ من المدخل إلى آخر الطريق. تجمعت هذه التمهيدات في رحلته مع أسرته إلى الإسكندرية، حيث أشار عليه الطبيب، بضرورة أخذ قسط من الراحة، والبعد عن إرهاق العمل، وتتمثل هذه التمهيدات في ثلاثة مواقف بطريقة غير مباشرة، ربما لا يلتفت إليها القارئ ظناً منه أنها لا تدل على شيء يذكر، وكأنها مجرد حكايات صيفية وقعت على الشاطئ، وهي:

التمهيد الأول- في رسالة بعث بها عمر إلى صديقه مصطفى يحدثه فيها عن أحواله فقال له مما قال: لأنك بعيد فإنني لا أجد من أحادثه كما أحب ولذلك كثيراً ما أحدث نفسي. كلام زينب أعقل مما يجب، لماذا يثيرنى الكلام العاقل في هذه الأيام ؟. الشخص الوحيد الذي أعجبني حديثه رجل مجنون. يرفع يده بالتحية على طريقة الزعماء طوال الطريق. ويلقي خطباً عجيبة، وقد التقيت به فيما وراء شاطئ جليم بكيلو على الأقل فبادرني:

- ألم أقل لك ؟

فأجبته باهتمام:

- فعلاً..

- ولكن ما الفائدة ؟ ستمتلئ المدينة غداً بسمك موسى ولن تجد موضعاً لقدم.

- على البلدية أن..

-لكنه قاطعني بحدة:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

..لن تحصل البلدية شيئاً، سوف ترحب به تشجيعاً للسياحة، وسوف يتكاثر بصورة مذهلة حتى يضطر السكان الأصليون للهجرة فيمتلئ الطريق الزراعي بطوابير المهاجرين ورغم ذلك كله سيواصل ثمن السمك صعوده..

ص ٣٢٢

هذا الحوار وحده يثير في ذهني ثلاث نقاط وثيقة الصلة بعمر وما ينتظره بعد عودته من الإسكندرية، أولها : يكمن في ميل عمر إلى نمط من الكلام لا علاقة له بكلام العقلاء، حيث أصبح يضيق ذرعاً بالكلام العاقل، وهذا تمهيد لما سيحدث بعد العودة من عزوفه عن أي شيء روتيني مألوف ، وانصرافه إلى عالم وحده لا يستمع فيه إلى لنفسه، فهو لا يريد الكلام في الماضي، لا يريد عتاباً على شيء. ثانيها : هو نبرة التشاؤم التي طغت على كلام المجنون، في محاولة عدل الميزان المقلوب، وضبط الاتزان بين ما يجب وما هو كائن، الصورة الوردية داخلنا والواقع الذي يشوه كل جمال وهي – تحديداً– مأساة عمر الحقيقية التي يعاني منها. ثالثها: التفات عمر إلى الرجل، والاعتداد بكلامه في رسالته إلى صديقه مصطفى ، فحالة الهذيان العقلاني، أو المنطقي – إن صح التعبير – التي كان عليها الرجل قد استوقفت عمر، فهل كان يرى فيه نفسه ؟

التمهيد الثاني– الحوار الذي دار بين المرأة والرجل على الشاطئ، ونقله – أيضاً – عمر إلى صديقه في الرسالة نفسها، قال الرجل:

-عزيزتي نحن منحدرون إلى خطر مؤكد..

قالت المرأة:

-هذا يعني أنك لا تحبني.

-لكنك تعلمين تماماً أنني أحبك.

-إذا تكلمت بعقل فهذا يعني أنك لم تعد تحبني.

-ألا ترين أنني مسئول وأنني جاوزت الشباب ؟

-قل أنك لم تعد تحبني..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-سوف نهلك معاً ونخرب بيتنا..

-ألا تكف عن المواعظ ؟

- لك زوجك وبناتك ولي زوجتي وأبنائي..

-ألم أقل لك لم تعد تحبني ؟

-ولكنني أحبك.

-إذن فلا تذكرني بغير الحب. [ص٢٨]

هذا الحوار يحتاج إلى تحليل دقيق، لأنه سيتجه بشخصية عمر، والحدث الذي ينمو ببطء وجهة تضيف بعداً جديداً في معاناته ، وتصنع نوعاً من التغيير في الحدث لتزداد الأحداث ارتباطاً، وعمقاً يؤدي إلى النهاية المنطقية. فهذا الحوار يكشف لعمر الحمزاوي أن الحب كل شيء في حياة المرأة، وأن الحب والعقلانية لا يجتمعان.

فقد تكررت جملة (إنك لم تعد تحبني) كثيراً، في إطار حديث الرجل العقلاني الذي يلفت انتباهها، ويحاول إيقاظها من غفلتها لتحافظ على العرف والتقاليد، ولكنها لا تريد الاستماع لصوت العقل والمنطق، لأنه - في رأيها - عندما يتذكر الرجل (أي رجل) هذه الأمور فقد أفاق من سكرة الحب، ونشوته التي ينبغي أن تسلط عليه حالة من اللاوعي واللامنطق. وتأتي أهمية هذا الحوار - في رأيي - في أنها قد أوحت لعمر الحمزاوي أن يخوض تجربة عاطفية يغيب فيها عن الوعي، ويجرب سكرات الحب الخارج عن الأعراف والتقاليد، وقبلهما الخارج عن الشرعية، وهو - كما أشرنا من قبل - نمط سلوكي مرضي. إنه في حالة عدم اتزان، وتسيطر عليه حالة من التشاؤم لشعوره بالفشل والخيبة، إنه يفقد الحياة شيئاً فشيئاً، وربما لو ألقي الحب بظلاله على حياته - خاصة عندما يرتبط بامرأة يكون الحب هو كل حياتها - ينقذ آخر أمل له بالحياة، وترجعه سكرات الحب إلى حالته الطبيعية، إنه في أشد الاحتياج لتجريب حياة العبث والمجون والإسراف في اللذات المحرمة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وربمـــا أراد عمـــر الحمـــزاوي تبادل الأدوار، فتبنى هو موقف المرأة العابـــث، اللاعقلانـــي، مخلفاً وراءه اعتراض معترض، أو استنكار منتقد. إنه يتبـــنى موقف المرأة اللامسئول، وما أجمل العبث واللهو وعدم المسئولية على إنسان مريض يتعلق بقشة كالغريق.

تـــرى أيكون في الحب الجديد الإنقاذ والخلاص من العذاب ؟ سؤال ربما كـــان يدور بذهن عمر عندما استرق السمع إلى الحوار. ودليل ذلك تعليقه على هذا الحوار - في رسالته لمصطفى - عندما قال: " وابتعدت وأنا أتخيل الدراما الممتعة الفاضحة وأضحك لجرأة المرأة وتهافت الرجل. ولكنهما ذكراني بصديق قديـــم اسمه الحب. يا إلهي ما أطول العمر الذي مضى دون حب. وماذا بقي لنا منه عدا ذكريات محنطة ؟! - كم أتمنى أن أتسلل إلى قلب عاشق. وأنا كما تعلم لم أحب في حياتي سوى زينب ولكن كان ذلك منذ عشرين عاماً. وما أذكره من ذلك التاريخ حركات ومواقف لا مشاعر وانفعالات " [ص٢٨] وقد مضى بالفعل (عمـــر الحمـــزاوي). في طريق اللهو والعبث والمجون، فذهب إلى ملهى ليلى وطلب من صاحبه أن ينتقي له امرأة لائقة به وإن كان مصطفى هو الذي طلب هـــذا المطلب، لكن سكوت عمر هو علامة الرضا كما يقولون. ولما ذهب تلقى من مصطفى نظرة جادة وسمعه يقول محذراً:

-من النادر أن يظفر إنسان بنشوة الحب في هذه الملاهي.

فتمتم عمر ساخراً:

-من جد وصل..

-تعلم أنني كلما لقيت زينب هذه الأيام أوجعني ضميري؟!

فقال باستهانة:

-ثمة آلام أعنف من ترف الضمير..

وأشار مصطفى إلى المتاعب التي تجيء من وراء العشق فقال عمر:

-كلما رأيت أنثى خيل إلي أنني أرى الحياة على قدمين.. [ص٧٠].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وثمـــة دليل على أن هذا الحوار - بين الرجل والمرأة - قد جعل الفكرة تختمر في وجدان عمر، وحفزته على التجريب، وتركته مهيئاً تماماً لخوض هذا النوع من العلاقات، ويتمثل هذا الدليل في :

التمهيد الثالث- مشهد تلك الحسناء عندما مرت أمام عمر على الشاطئ أكد عنده هذا الأمر، فعقد العزم على التمسك بالحياة ظناً منه أن خوض تجربة عاطفية خارجـة عن النمط المألوف، ربما جعله يعثر على ضالته وهي السعادة. فقد مرت أمـام المجلـس حسناء معجبة بنفسها فخطف منها نظرة أشاعت في حواسه بهجة ياسمينية. وقال:

- عندما أعود إلى حالتي الطبيعية سأحاول أن أفهم الحياة فهماً جديداً يقرنها بالسعادة الحقيقية.. [ص ٣٠]

وهذه التمهيدات كانت بالفعل المحرك الذي أدار به نجيب محفوظ - ببراعة شديدة - روايته.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهوامش والتعليقات

١- صـــدرت عام ١٩٦٥، وهى من الروايات التى غير من خلالها نجيـــب محفـــوظ اتجاهه الأدبى، سواء فى الموضوع أم التكنيك الفنى الذى يحـــدده. وهى مرحلة طغت فيها الأفكار المجردة على القضايا الاجتماعية المســـتمدة من الواقع، والمختلفة فى سماتها الفنية، وهذا النوع قد تشبعت به رواياتـــه حـــتى انتهت بالثلاثية. ويقول بهذا الصدد: "أما حين بدأت الأفكار والإحساس بها يشغلنى لم تعد البيئة هنا ولا الأشخاص ولا الأحداث مطلوبة لذاتهـــا. الشخصـــية صـــارت أقرب إلى الرمز أو النموذج، والبيئة لم تعد تعـــرض بتفاصيلها بل صارت أشبه بالديكور الحديث، والأحداث يعتمد فى اختـــيارها على بلورة الأفكار الرئيسية" من مقاله المنشور فى مجلة الكاتب عدد ٣٥، "اتجاهى الجديد ومستقبل الرواية"، ص٢٢.

٢- بـــرع فى هذا الاتجاه كتاب القصة الأمريكيون أولاً، ثم تأثر بهم الفرنســـيون، وتأثـــر به- كذلك- الوجوديون فى قصصهم، حيث أرادوا أن يســـتفيدوا مـــن الـــنزعة السلوكية فى تصوير واقع الإنسان الأليم، وأنه لا يســـتطيع أن يـــنعم بوجود كامل، لأن تقاليد المجتمع ثقيلة على كاهله ينوء بعبئها. وهم فى ذلك ينعون على هذه المجتمعات موقفها من الفرد، ويكشفون بالتصـــوير عـــن حقيقة موقف الإنسان ورغبته فى تغيره إلى ما هو خير، راجـــع فـــى ذلك كتاب "النقد الأدبى الحديث " الدكتور محمد غنيمى هلال، نهضـــة مصر، ص٥١٩، ٥٢١. ونحن نرجح تأثر نجيب محفوظ- فى هذا الاتجـــاه- بالوجوديـــن لعدة أسباب: أولها إبرازه الاتجاه المنتمى إلى الفكر الوجودى فى شخصيات رواياته، ثانيها وله علاقة برواية الشحاذ، متمثلةفى بحث "عمر الحمزاوى" الدءوب عن سر الوجود، وهى مسألة شغلت مساحة كبـــيرة - - مـــن الرواية. ثالثها: انتقاد مرحلة مجتمعية معينة من خلال شخصية "عمر" الذى يعكس مأساة الإنسان فى حياته، وهذا من صميم الفكر الوجودى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- سـيكولوجية اللغة والمرض العقلى، د. جمعة سيد يوسف، عالم المعرفة (١٤٥)، ص١٩٩.

٤- الطب النفسى المعاصر، الدكتور أحمد عكاشة، الأنجلو المصرية، ١٩٨٨، الطبعة السابعة، ص١٤٣.

٥- راجع كتاب: فصام العقل للدكتور على كمال، دار واسط ١٩٨٧، ص٦٣.

٦- لعـل تشابهاً ما يربط بين شخصية "عمر الحمزاوى "و شخصية "ميرسـو" بطـل قصة الغريب للكاتب الفرنسى "ألبير كامى" وهو ذو نزعة وجودية، حيث يشعر البطل بأنه غريب عن نفسه، لا يعرف عنها أكثر مما يعـرفه الآخرون من سلوكه. حيث تتعاقب الرغبات و الانفعالات والدوافع فى سرعة لا يستطيع المرء معها أن يحدد أسباب ظهورها واختفائها والبطل نفسـه موطـن هذه الأعراض والعواطف، يعانيها ويتعرض لها، أكثر مما ينـتهجها .ولهذا اللون الأدبى وجود قوى فى الأدب الروسى،كما فى أعمال ديستوفسكى.

٧-انظر: فصام العقل، ص١٥٣.

٨-قراءة فى أدب نجيب محفوظ،الدكتور رجاء عيد،منشأة المعارف بالأسكندريو،١٩٨٩،ص٩

٩-الرؤى المتغيرة فىروايات نجيب محفوظ،عبد الرحمن أبو عوف،الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩١،ص٢٤.

١٠- اتجاهات الرواية المصرية،الدكتور محمد شفيع السيد،مكتبة الشباب، ١٩٨٨،ص٢٥١ .

١١- راجـع: قراءة الرواية ،الدكتور محمود الربيعى،دار المعارف ،ص٧٧.

١٢-انظـر: جريدة الأهرام،٣٠ نوفمبر ٢٠٠٣ ،مقال بعنوان"قراءة فى كتاب الغجرية وحلم المدينة الفاضلة" ، سناء صليحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٣- اتجاهات الرواية المصرية،ص٣٠٣ .

١٤- من المعلوم تأثر نجيب محفوظ ببلزاك Balzac (١٧٩٩-١٨٥٠م) ، وجول رومان Jules Romains- (١٨٦٨-١٩٤٣) . ويعد الأول رائداً فى تصوير الواقع الذى يهتم بالطبقات الدنيا و المتوسطة، ويكشف جوانب السوء والشر فى النفس الإنسانية، وهو لا يصف سوى شخصيات متمردة، أو وصولية، فى حركة دائبة نحو الخروج من طبقتهم إلى ما هو فوقها أو التردى فى الجريمة والشر. ولقد صور فى مجموعته (المهزلة الإنسانية) تاريخ المجتمع الفرنسى كله، مفصلاً العادات والتقاليد. أما الثانى فقد سلك الاتجاه نفسه، وأرخ للحياة الفرنسية. وهذا النوع من القصص يستلزم معايشة الفترة المعالجة فى الرواية، وجمع دقائق الحياة فيها. ولقد تأثر نجيب محفوظ بهما تأثراً كبيراً، وحاول نقل هذا الاتجاه وخصائصه إلى الأدب العربى، ونجح فى تناول أحوال المجتمع وتصوير الواقع، وإبراز صور لشخصيات تعبر عن هذا الواقع فسجل شخصياته فى تاريخ الرواية العربية، وأخذت شهرة واسعة.واتباعاً لتلك التأثيرات فقد تطور مع تطور هذه الاتجاهات ، فظهرت مجموعة من الأعمال الروائية مختلفة فى الشكل والمضمون مع الروايات التى تمثل الاتجاه الواقعى،فكتب (اللص والكلاب-السمان والخريف- الطريق-الشحاذ-ميرامار-ثرثرة فوق النيل) وهذه الرواية تم استخدام الرمز فيها بوصفه أحدث اتجاهات الأدب الحديث .

(راجـــع تفاصيل هذا الموضوع فى كتاب: النقد الأدبى الحديث للدكتور محمد غنيمى هلال ص ٥٠٤ : ٥٢٥).

١٥-انظـــر :فقـــه النص الروائى،الدكتورة ثناء قاسم،مكتبة الغزالى، ٢٠٠٤.ص٧٦،٧٧.

١٦- انظر: النقد الأدبى الحديث، ص٥١٩، ٥٢٠..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٧- انظر : سيكولوجية اللغة والمرض العقلى، ص ١٩٥، وكذلك فصام العقل، ص ٥٨.

١٨-الفصامى:كيف نفهمه ونساعده،دليل للأسرة وللأصدقاء،سيلفانو أريتى،ترجمة الدكتور عاطف أحمد،عالم المعرفة العدد١٥٦ ،ص٣٧

١٩-تناول الدكتور محمد غينمى هلال خصائص هذا الاتجاه الحديث فى فن القصة فى كتابه " النقد الأدبى الحديث " حيث تحدث عن عرض الصور للأفعال والمشاعر من الخارج. وعن الجهاز التصويرى الذى يرتكز على محور واحد، ولكنه يعلو ويهبط ليكشف عن أعماق نفسية مختلفة، وهو يغير محوره، ومكانه لينقل الصور المادية للانفعالات والعواطف كما هى. ويشبهه بجهاز التصوير فى الخيالة ويذكر نماذج من ذلك فى قصة " المفتاح الزجاجى" للكاتب الأمريكى " د.هامت" لا يذكر المؤلف أن البطل " ندبومنت " شعر بأنه جن بل يصور، هذا المعنى، فيقول : أخرج زناده فأوراه ونظر إليه. وآنذاك لمع بريق ماكر فى عينيه. ظلتا شاخصتين لا تطرفان إنه بريق غير سليم " ص ٥٢٠، ٥٢١ . فى الحق أن المتتبع لخصائص هذا الاتجاه الحديث يدرك مدى تأثر نجيب محفوظ به فى الأدب العربى، لينقله نقلة كبرى فى مسايرة الأداب الغربية.

٢٠- انظر : سيكولوجية اللغة والمرض العقلى، ص ١٩٢ ، وانظر: فصام العقل، ص ٥٩ .وانظر كتاب " النفس ، انفعالاتها وأمراضها وعلاجها " للدكتور على كمال، الجزء الثانى، دار واسط ، ١٩٨٩، ص ٥٥٤ .

٢١- انظر: فصام العقل،ص٥٨ ، وسيكولوجية اللغة والمرض العقلى، ص ١٩٥ .

٢٢ – الرؤى المتغيرة فى روايات نجيب محفوظ،ص٢٤.

٢٣ – انظر: فصام العقل، ص ٥٠،٥٢، ٦٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٤ - انظر : فصام العقل، ص ٩١: ٩٣.

٢٥ - انظر : النفس، انفعالاتها و أمراضها و علاجها، ص ٥٨٤، وكذلك سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ص ١٩١.

٢٦ انظر : فصام العقل، ص ٨١.

٢٧-انظر : فصام العقل، ص ٦٠، ١٩٨.

٢٨ - انظر :فصام العقل ،ص ١٩٣ .

٢٩- انظر : فصام العقل، ص ٣٦، ٥٠. وكذلك سيكولوجية اللغة والمرض العقلي،ص ١٩٣ .

٣٠- انظر : فصام العقل، ص ٦٤.

٣١ - الفصامى :كيف نفهمه ونساعده ،ص٧٩.

٣٢- انظر: فصام العقل، ص ٨١.

٣٣- من الواضح فىالكثير أعمال نجيب محفوظ تأثره بمجال دراسته الجامعية المختصة بعلم النفس والفلسفة، فقد نشأ لديه الوعى المبكر بهذه العلوم، وتأثر بهـا، ونجده يكتب فى بداياته مقالات ودراسات، فى هذا الصدد، ونشرها ما بين عام ٣٠إلى عام ٤٥. راجع ذلك فى كتاب فتحى العشرى " نجيب محفوظ بين الأدب والفلسفة "، الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة.

٣٤ - النقد الأدبى الحديث، ص ٥٠٤.

٣٥ - انظر : النقد الأدبى الحديث، ص ٥٢٠.

٣٦ - قـراءة الرواية ، ص ٩٦. لقد توصل الدكتورمحمود الربيعى بملكته الذوقـية فـى النقد إلى ملاحظة تخفف الرواية من(تيار الوعى)،لكنه لم يسوغ هذا التخفف.

٣٧ - انظر سيكولوجية اللغة والمرض العقلى، ص ١٩٤.

٣٨-قراءة فى أدب نجيب محفوظ،ص١٨٢.

٣٩- لم يكن لعمر الحمزاوي أصدقاء سوى مصطفى، وهذا مظهر من مظاهر مرض الفصام الذي كان يعاني منه. انظر: الشحاذ، صـ١٠٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مصادر البحث ومراجعه

أولاً: المصادر :

١- السراب"

٢- الشحاذ" القاهرة ،مكتبة مصر،١٩٧٨الطبعة السادسة .

٣- الطريق" ،مكتبة مصر، د.ت.

ثانياً: المراجع :

الدكتور أحمد عكاشة:

- الطب النفسى المعاصر،القاهرة،الأنجلو المصرية،١٩٨٨،الطبعة السابعة.

الدكتور جمعة سيد يوسف :

--سيكولوجية اللغة والمرض العقلى،الكويت ،عالم المعرفة،العدد ١٤٥ .

الدكتورجاء عيد :

-قراءة فى أدب نجيب محفوظ،منشأة المعارف بالأسكندرية،١٩٨٩.

عبد الرحمن أبو عوف:

-الرؤى المتغيرة فى روايات نجيب محفوظ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١.

الدكتورعلى كمال:

- فصام العقل، بغداد ، دار واسط ،١٩٨٧ ،الطبعةالأولى .
- النفس،انفعالاتها وأمراضها وعلاجها، بغداد ، دار واسط، الجزء
- الثانى، ، ١٩٨٩ ، الطبعة الرابعة.

فتحى العشرى :

- نجيب محفوظ بين الأدب والفلسفة،القاهرة،الدار المصرية اللبنانية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدكتور محمد شفيع السيد:

- اتجاهات الرواية المصرية،القاهرة ،مكتبة الشباب،١٩٨٨،

الدكتور محمد غنيمي هلال:

- النقد الأدبي الحديث،القاهرة ، نهضة مصر .

الدكتور محمود الربيعي:

- قراءة الرواية، القاهرة ، دار المعارف.

ثالثا :المترجم:

Understanding and helping the schizophrenic – by silvano arieti.

ترجمة الدكتور عاطف أحمد.

رابعاً: الدوريات:

- سناء صليحة، الغجرية وحلم المدينة الفاضلة،جريدة الأهرام،عدد ٤٢٧٢٧، ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٣.

- نجيب محفوظ ، اتجاهي الجديد ومستقبل الرواية ، مجلة الكاتب ،عدد ٣٥ ، ١٩٦٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner